الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

الموسومة ب :

الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م)

إعداد الطالبة :
شيابني فاطيمة

اشراف الأستاذة
بورملة عربية.

أعضاء اللجنة	الصفة
د.الطيب بوجمعة نعيمة	رئيسا
أ.بورملة عربية	مشرفا مقررا
أ.شرقي نوارة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1441-1442 هـ/ 2021/2020 م

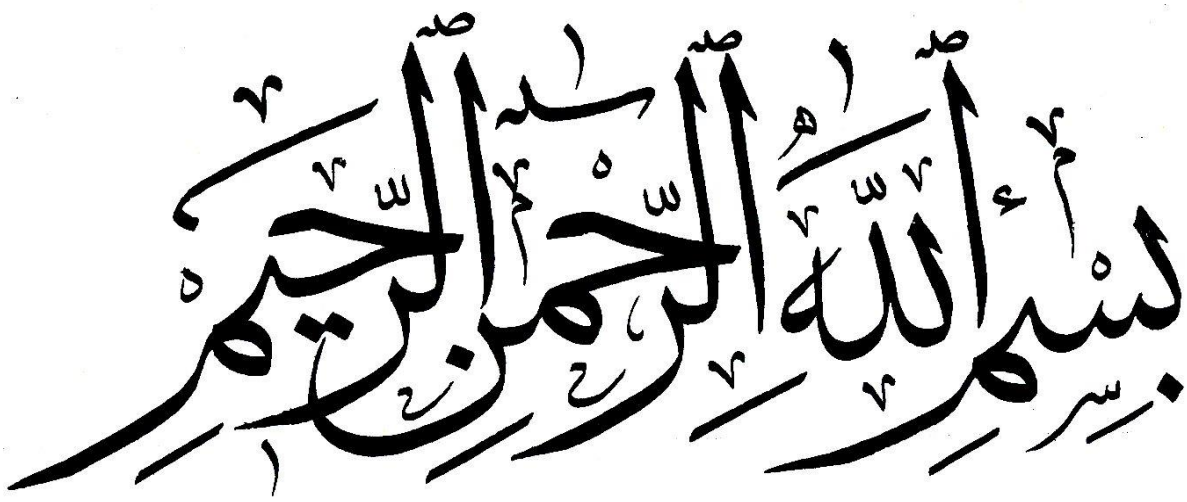
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من ربياني صغيرة أبي وأمي أطال الله في عمرهما .

و إلى روح جدي العزيز رحمه الله .

إلى أعز الناس إخوتي قادة وزوجته و شمعة بيتنا البرعم أسماء و إلى أخي الطيب و محمد و أخواتي سهيلة و نوال.

وإلى كل عائلة شيابني من كبيرهم إلى صغيرهم.

وإلى من يعرفني من قريب أو من بعيد.

فاطيمة

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا على فضله وإحسانه وأن وفقني في إتمام هذا البحث فله الحمد والشكر أولا وآخرا.

أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان للأستاذة المشرفة بورملة عربية لقبولها الإشراف على هذا العمل وعلى نصائحها وإرشاداتها التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة

قائمة المختصرات:

هـ: هجري.

م: ميلادي.

ت: توفي.

ص ص: صفحة أو أكثر.

مج: مجلد.

تح: تحقيق.

مرا: مراجعة.

د ط: دون طبعة.

د ت: دون تاريخ.

مقدمة

شهد المغرب الإسلامي قيام عدة دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق ، و أول دولة تأسست في المغرب الأوسط على يد سكان بربر هي الدولة الحمادية، التي ساهمت بشكل كبير في إثراء التاريخ السياسي للمغرب، و أضافت إليه نبذة من الإنفراد و التميز بخصال فريدة مختلفة، وكان أول ظهور لها على الساحة السياسية خلال القرن الخامس هجري–الحادي عشر ميلادي، لتمر عبر هذه الفترة بمراحل عديدة تعاقب على حكمها عدة أمراء إختلفوا في سياستهم و تنوعوا ، لتختلف معهم الظروف العامة للدولة.

و من بين هؤلاء الأمراء، الأمير الحمادي الخامس الناصر بن علناس(454–481هـ/ 1062–1089م)،الذي ترك بصمته خلال فترة حكم دامت سبعة و عشرون سنة ، كانت حافلة بالأحداث المهمة ، كفيلة بأن ترسم مسارا جديدا نحو دولة عظيمة قوية بسطت نفوذها و أثبتت وجودها رغم المنافسة الشرسة التي تعرضت لها في بداياتهاو التحديات الصعبة و العوائق التي لاقتها ،إلا أن ذلك لم يكن إلا حافزا لها نحو زيادة وتيرة الإجتهاد لتحقيق المجد و الشموخ، ومن هنا جاء بحثنا المعنون " **الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس 454–481هـ/1062–1089م**"، و الذي له أهمية بالغة تكمن في إبراز فترة رائعة و مميزة من تاريخ الدولة الحمادية ، من حيث الأحداث المهمة و التغيرات التي طرأت عليها.

و جاء إختيارنا للموضوع الذي بين أيدينا إلى الرغبة و الإهتمام البالغين بالتاريخ السياسي للمغرب عامة و الأوسط خاصة، و حب التطلع و التعمق في أحداثه و التعرف على وقائعه، وكذا إماطة اللثام عن فترة حكم الناصر بن علناس و السعي إلى إفادة كل باحث في تاريخ الدولة الحمادية بالمعلومات المقدمة .

و من الدراسات السابقة التي ألمت بذكر معلومات وفيرة حول الدولة الحمادية، و اختصت فترة الناصر ببعض المميزات و الأحداث هي كتاب دولة بني حماد صفحة رائعة من

التاريخ الجزائري لعبد الحليم عويس ، و الذي كان لنا المنطلق في فهم بحثنا و التعمق فيه أكثر.

كذلك كتاب بجاية مناء مغاربي للدكتور علاوة عمارة و الذي تضمن ذكر مفصل لمدينة بجاية في الفترة الإسلامية الوسيطة و عن التاريخ العريق و الحافل لها و الإنجازات العظيمة لحكامها و التركيز أكثر حول نشاطها السياسي و الاقتصادي لما شكلته من مناء مغاربي مهم بحكم موقعها الممتاز و السياسة الرشيدة لحكامها.

و من خلال ماسبق فإننا نطرح مجموعة من الإشكاليات تساعدنا على الوصول إلى تفاصيل هذا الموضوع و التعرف على مراحل و أطوار هذه الفترة:

- ماهي الإستراتيجية التي اتبعها الناصر بن علناس في حكم الدولة الحمادية؟

و تندرج تحت هذه الإشكالية العامة إشكاليات فرعية المتمثلة في:

- كيف تغلب الناصر بن علناس على الظروف السياسية الصعبة التي تلقاها عند توليه منصب حكم الدولة ؟
- هل نجح الناصر بن علناس حين انتهج سياسة مغايرة لسابقتها؟
- ماهي المظاهر الحضارية التي تميز بها عهد الناصر بن علناس ؟

و اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف فاستخدمناه في وصف وقائع و أحداث المعارك و الصراعات في بلاد المغرب ووصف الجوانب الحضارية للحماديين كالعمران، و قمنا باستخدام التحليل حين تضاربت أراء المؤرخين حول بعض من الأحداث كأسباب بناء مدينة بجاية 461هـ.

و للإجابة عن التساؤلات المطروحة اتبعنا الخطة التالية المتضمنة لمقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة، فجاء في المدخل نبذة بسيطة و عامة حول ظروف قيام الدولة الحمادية و ذكر مؤسسها و أهم أمرائها ، و الفصل الأول المعنون بي " **التاريخ السياسي للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس**" تطرقنا فيه إلى تولي الناصر بن علناس حكم الدولة الحمادية، و أهم التغييرات الإدارية التي قام بها، وذكر العداوة التي جمعته بابن عمه أمير الدولة الزيرية تميم بن المعز، و التي دفعته للخروج و محاربته في أواسط الأثبج و زغبة من بنو هلال ، و صنهاجة و زناتة ، و الهزيمة القاسية التي تعرض لها، مادفعه إلى بناء عاصمة جديدة لإنقاض ملك بنو حماد من الخراب ، و هي مدينة بجاية.

أما الفصل الثاني المعنون "**بالإنتعاش الحضاري للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس**"، والذي تطرقنا فيه إلى الإنجازات الحضارية التي حققها الناصر بن علناس في عاصمته الجديدة بجاية، حيث قمنا بذكر أهم المميزات التي تميزت بها المدينة، و التي ساعدت كثيرا على تحقيق هذا الإزدهار، و كذلك التطور الإقتصادي الذي وصلت إليه الدولة الحمادية في عهده ، و الذي نتج عن اهتمامه و دعمه للزراعة و الصناعة و التجارة ، و فتح كل الآفاق أمام هذه النشاطات، وليس هذا فقط بل اهتم الناصر بن علناس بالحياة العلمية و الفكرية، فدعم العلماء و الطلبة، و أحب البناء و التشييد و فتح أبواب دولته إلى جميع الراغبين في إستطانها.

ثم ختمنا الموضوع بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة، مع ملاحق توضح بعضا من جوانبها اقتبسناها من مراجع لها علاقة بالموضوع.

و حتى نستوفي الموضوع حقه و نلم بجوانبه استخدمنا مجموعة من المصادر و المراجع كان أهمها مايلي:

أ- المصادر التاريخية:

العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م)، في جزءه السادس و الذي كان أنيس لنا طوال فترة بحثنا، فيعتبر موسوعة كبيرة لا يمكن الإستغناء عنها لإحتواءه على معلومات قيمة حول المغرب الأوسط، و إلمامه بأخبار الملوك و الدول و الشخصيات و القبائل الهلالية و البربرية، فأفادنا كثيرا حول أخبار الدولة الحمادية و الأطراف المتعلقة حياتهم بحياة الحماديين كالزيريين و المرابطين و بنو هلال وزناتة.

الكامل في التاريخ في جزئيه الثامن و التاسع لابن الأثير (ت630هـ/1232م)، و الذي تضمن معلومات مهمة حول تاريخ الحماديين ، أفادنا في معلومات غزيرة حول الفترة المدروسة كالصراع الحمادي الزيري وواقعة سبيبة الشهيرة.

البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، لابن عذاري المراكشي(كان حيا 727هـ)،في جزءه الأول و الذي يعد مصدرا مهما تناول تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس، غني بأخبار الدول و ملوكها، فأفادنا في معرفة الأحداث السياسية المتعلقة بفترة الدراسة مع ذكر للأسماء و الأماكن.

أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام للسان الدين ابن خطيب (ت.776هـ) ،في جزءه الثالث و الذي سمحت له الفرصة بالاتصال مباشرة بالمغرب الإسلامي فأكثر من التحليل ، فأفادنا بمعلومات دقيقة و هامة .

ب- المصادر الجغرافية:

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي محمد بن إدريس الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي (ت.547هـ/1159م)، في المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس، أفادنا في معرفة العمارة و المدن و الأسوار و القرى و الأمصار، و الوديان و الجبال، و كل ما يتعلق بالتضاريس و جغرافية كل حاضرة من حواضر بلاد المغرب و لم ينسى بالذكر القبائل و الأجناس و التجارة و الأسواق و المحاصيل الفلاحية و الطرق.

المسالك و الممالك، لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت.487هـ/1094م)، في المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، و قد زخر الكتاب بمميزات جعلته مصدرا جغرافيا هاما في تاريخ بلاد المغرب، حيث أنه اهتم بوصف المدن و العمران و الصناعات و التجارة و كذا تعريفات للمراسي الحمادية.

الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت.900هـ/1459م)، أفادنا في تعريفات لمدن المغرب الأوسط و الطرق و الجبال و الصناعة.

الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من مراكش خلال (القرن 6هـ/12م)، و الذي ساعدنا كثيرا في معرفة الطرق التجارية في بلاد المغرب، و الثروة الصناعية و المعدنية للمدن الحمادية و الثروات الزراعية و الحيوانية ، فكان ملما و غنيا بالمعلومات الهامة.

2-المراجع:

إلى جانب هذه المادة التاريخية، وظفنا في بحثنا هذا مجموعة متنوعة من المراجع لا تقل أهمية عن المصادر لارتكازها على التحليل و المقارنة ، أهمها:

- **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري** لعبد الحليم عويس الذي أفادنا كثيرا في فهم جميع الجوانب السياسية و الحضارية للدولة الحمادية، و الصراعات المغاربية فكان شاملا و ملما بالعديد من المعلومات.
- **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها لرشيد بورويبة، و الدولة الصنهاجية** الجزء الأول لهادي روجي إدريس، **الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج** لمحمد الطمار، كلها كتب أمدتنا بصورة واضحة عن الحياة الفكرية للدولة الحمادية، و النهضة العلمية و الثقافية التي مست فترة موضوعنا.

و في الختام نعترف أن ماجاء في هذه المذكرة ماهو إلا محاولة منا لتسليط الضوء على فترة معينة من تاريخ الدولة الحمادية ، لكن هذا لا يجعلنا ننسى الصعوبات التي اعترضتنا خلال مسار البحث، و التي من أهمها قلة المصادر المتخصصة في موضوع البحث ، خاصة في الجانب الحضاري كالعمران و غيرها، فأغلب الرحالة و المؤرخين ركزوا على واقع الصراعات السياسية بين القبائل .

ندرة المادة العلمية في الجانب العلمي و الثقافي خلال فترة الناصر بن علناس، حيث أن المصادر ذكرت اهتمامه بهذا الجانب لكن لم تركز عليه أكثر لتوصل لنا معلومات أكثر دقة و وضوح كذكر أسماء العلماء الذين قدموا لبجاية خلال تلك الفترة.

و عليه نتمنى أن تكون هذه الدراسة إنطلاقه لأبحاث أخرى .

مدخل:

نبذة تاريخية عن الدولة الحمادية.

في مطلع القرن الرابع هجري، وعلى وجه التحديد عندما انتزع الفاطميون افريقية من أيد الأغالبة[1]، حين أنشؤوا دولتهم القائمة على نشر مذهب الشيعة الإسماعيلية[2] في أحضان قبيلة كتامة[3] البربرية، التي دعمت وزادت في قوتهم، باعتناقها لهذا المذهب والتفافها حوله، و اختيرت لإقامة هذه الدولة لتميزها بالبأس والشدة والأموال[4]، فشكلت العصب النابض لها، لكن سرعان ما تخلوا عنها حين استنزفوا كامل قوتها، ليجدوا في صنهاجة[5] القوة البديلة حين اعتنق كبيرها المذهب الشيعي وهو زيري بن مناد الصنهاجي، أما قبيلة زناتة[6] فتميزت بالعداء والرفض التام له[7].

فكانت العلاقة الفاطمية الصنهاجية وطيدة منذ عهد زيري بن مناد الذي كان أكثر ولاءا لهم، وقد استمرت هذه العلاقة الحسنة حتى عهد بلكين بن زيري الذي تولى زعامة صنهاجة

---

[1] الأغالبة: نسبة الى إبراهيم بن الأغلب الذي أسس دولة في افريقية مستقلة عن الخلافة العباسية 172هـ (ينظر : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تر ومرا،ج س كولان ولفي بروفنسال ، ج1، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1983، ص296).

[2] الشيعة الإسماعيلية :هي فرقة شيعية متطرفة، تنسب الى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق وهي من أسست الدولة الفاطمية في المغرب إمامها عبيد الله المهدي (ينظر: أبي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر احمد الشهرستاني، الملل والنحل، تر: محمد السيد كيلاني ،ج1، ط2، دار المعرفة، لبنان، 1995م، ص196).

[3] كتامة: قبيلة بربرية تنسب إلى كتام بن برنس تواجدت بجبال الاوراس (ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6 ،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 2006، ص125).

[4] هادي روجي إدريس، لدولة الصنهاجية، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1992، ص31.

[5] صنهاجة: من أوفر قبائل البربر، لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، فزعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر، ينسبون إلى صنهاج بن برنس بن بر(ينظر، عبد الرحمن ابن خلدون المصدر نفسه، ج6، ص201).

[6] زناتة: قبيلة بربرية تنحدر من قبيلة ضريصة من أبناء بتر بطونها عديدة(ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6 ،ص131).

[7] بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين قسنطينة، الجزائر، ط1، 2007، ص81-87.

خلفا لأبيه[1]، ولما أراد المعز لدين الله الفاطمي الرحيل من افريقية الى مصر[2]، نظر فيمن يوليه أمر افريقية والمغرب فاختار بلكين بن زيري، وولاه البلاد ماعدا صقلية[3] وطرابلس[4] وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة وأوصاه بثلاث، أن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحدا من أهل بيته.

فاضطلع بالولاية وأجمع غزو المغرب فغزاه في جموع صنهاجة، فنزل تاهرت وأخرج عاملها وخربها وتلمسان حاصرها حتى نزل أهلها على حكمة، فبلغه كتاب من المعز ينهاه من التوغل في المغرب فرجع وأضاف له مدينة مسيلة[5] .

وفي سنة (365هـ/975م) مات المعز الفاطمي، وتولى الحكم ابنه العزيز فتوجهت قافلة من افريقية بتقديم الولاء والهدايا من بلكين للخليفة الجديد وبالمقابل أرسل الخليفة للأمير الزيري قطعا ذهبية مسكوكة باسمه و أمره بتداولها وأضاف له طرابلس[6].

[1] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام ، تح وتع: أحمد مختار العبادي و إبراهيم العبادي و إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1964م،ص82.

[2] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تر و مرا: ج س كلان ولفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص296.

[3] صقلية: جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة وهي في شرقي الأندلس في لج البحر وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد افريقية إلى مرسى الخرز(ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1996،ص113).

[4]طرابلس : أول مدن افريقية، أزلية على ساحل البحر سورها من حجر(ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نش و تع : عبد الحميد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د ط، 1986م، ص12).

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، 2006، ص206.

[6] جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر ومر: محمود عبد الصمد هيكل، ومصطفى أبو ضيف، منشأة المعارف الإسكندرية ،د ت، ص182-183.

وفي سنة 367هـ ارتحل بلكين الى المغرب فملك فاس[1]و سجلماسة[2]، وبقي حاكما إلى غاية وفاته373هـ، وتوارث أبناءه وأحفاده الحكم من بعده، فباديس بن أبي الفتح بن المنصور بن بلكين (386هـ-406هـ/ 996م-1016م) الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه ولقب بنصير الدولة[3] وتميز عهده بكثرة الصراعات والحروب حيث فتحت عليه عدة جبهات وجب عليه محاربتها جميعا، فعقد لعمه حماد بن بلكين على أشير[4] والمغرب وجعله عاملا على تلك البلاد، وكان هذا الأخير في عهد المنصور قائدا وحاميا لعائلته ومصدر ثقته.

لكن الثورات قد زادت على باديس حين زحفت زناتة عبر المغرب الأوسط إلى طرابلس و شن زيري بن عطية المغراوي حملة[5] تصد لها يطوفت بن بلكين والي تاهرت وحماد والي أشير ، إلا أنه بعدما رحل باديس وحماد عن أشير ترك بها يطوفت وأبناء زيري بن مناد، ماكسن وزاوي و جلال ومغنين الذين بقوا مع يطوفت لمساعدته في تسيير شؤون البلاد إلا أنهم في الحقيقة شقوا عصا الطاعة في أشير مع أبي البهار[6] الذي تبرأ من شأنهم، وانشغل

[1]فاس: قاعدة بلاد المغرب محدثة في ولاية إدريس بن إدريس، عبارة عن مدينتان، أسست عدوة الاندلوسيين(192هـ/808هـ) وعدوة القرويين(193هـ/809م) (ينظر مجهول ،الإستبصار، المصدر نفسه،ص180).

[2]سجلماسة: مدينة تقع ناحية تافيلات جنوب شرق مدينة فاس على تخوم الصحراء وكانت أهم المراكز التجارية على طريق الذهب القادم من السودان الغربي، سكنها قوم من مسوفة تأسست على يد مدرار بن عبد الله(ينظر: أبو عبيد الله البكري، المغربفي ذكر بلاد افريقية والمغرب مقتطف من المسالك والممالك، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد، ص172).

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه،ج6، ص209.

[4]أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية في البر، وكان زيري بن مناد الصنهاجي يبحث عن مكان يسكن فيع فوقع اختياره على أشير التي كانت موضعا خاليا من عيون الناس فجاء بالبنائين وبنائها سنة324هـ وقام بتحصينها (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،د ط، 1977م، ج1، ص202).

[5] كان زيري بن عطية واليا على فاس لكنه طرد منها فحاول أن يستولي على المغرب الأوسط، فزحف بجيش كبير على تاهرت سنة389هـ،998م (ينظر: ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ج1،ص356).

[6] هادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص129.

باديس في حرب فلفل بن سعيد بن خزرون[1]، فسرح عمه حماد لحرب بني زيري إخوته فهزمهم وقتل ماكسن وصالح الآخرون على إجازة الأندلس، وهلك زيري بن عطية لتسع أيام من مهلك ماكسن وأقفل باديس عمه حمادا على حضرته ليستعين به في حرب فلفل، فاضطرب المغرب لقفوله وأظهرت زناتة الفساد وحاصروا المسيلة و أشير فسرح إليهم باديس عمه حماد 395هـ/1004م فنزل تيجست ودوخ المغرب وأثخن في زناته[2] ونجح في استئصال شأفتهم وتكررت انتصاراته عليهم وطار صيته وعظمت هيبته[3] واختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة398هـ/1007م وهو جبل عجيسة[4] فنجح خلال هذه الفترة في أن يكون أقوى شخصية في الزاب والمغرب الأوسط كله إلى الحد الذي جعله باديس يتخوف على مستقبل ملكه[5]، فطلب منه أن يسلم عمل تيجست و قسنطينة لولده المعز، فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة405هـ/1014م[6]، فحاربه باديس وكاد ينهي ملكه لولا وفاته المفاجئة سنة406هـ/1015م، فخلفه ابنه المعز الذي حاربه هو الآخر و هزمه غير أنهما اتفقا على الصلح و أرسل حماد ابنه القائد رهينة وفق شرط المعز و رجاله، و كان إبراهيم أخو حماد معتقلا لدى المعز منذ إحدى المعارك، فلم يأل رجال المعز جهدا في إكرام إبراهيم و القائد وأطلقوا سراح الأول و خلع المعز عليه، و أعطاه الأموال و الدواب و عندما وصل القائد أكرمه

[1] بنو خزرون من طبقة مغراوة، لما غلبهم بلكين بن زيري على المغرب الأوسط تحيزوا إلى المغرب الأقصى وراء ملوية ثم أقطع العهد للمنصور فأقطعهم طبنة و في عهد باديس سكنوا طرابلس و شقوا عصا الطاعة له(انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، لمصدر السابق،ج6، ص182).

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص209.

[3] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1991م، ص62.

[4] عجيسة: من بطون البرانس عجيسة بن برنس، جاوروا صنهاجة سكنوا جبل القلعة(ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص192).

[5] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص63.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج6، ص 228.

و أحسن مقامه، و أمضى لحماد الانفراد بعمل المسيلة وطبنة[1] و الزاب[2] و أشير و تاهرت و ما يفتح على يديه من بلاد المغرب و رضي الجميع الصلح و حلفوا عليه و استقرت الأمور بينهما و تصارها ، و زوج المعز أخته لعبد الله بن حماد ، فافترق ملك صنهاجة الى دولتين.

و يرجع سبب هذا الصلح بالنسبة للمعز، هو تخوفه من ردة فعل الفاطميين على إظهاره لميولاته السنية[3] ، لذا أحب القائمون بالأمر باسمه أن يتفرغوا لهذه الجبهة، و أن يستفيدوا من خبرة حماد كحاجز قوي يفصل بينهم و بين زناتة .

أما بالنسبة لحماد فبعد أن هزمه باديس في آخر معركة و حاصره في القلعة، الراجح أنه قد قرر لصلح في نفسه، حيث بدا له بعد هذه الموقعة انه فقد كل شيء، لكنه كان يخشى أن لا يستجيب له باديس، ولما مات فجأة و تولى ابنه المعز وهو صغير السن قوي الأمل في نفس حماد.

فيعتبر التاريخ الرسمي والعملي لقيام الدولة الحمادية هو 408هـ/1017م، لكن الفترة الممتدة من 390هـ/999م الى 408هـ/1017م هي الفترة الحاسمة التي تمخض عنها قيام الدولة[4].

[1] طبنة: مدينة قديمة عليها صور من طوب و لها حصن قديم عليه صور من صخر و لها أرض واسعة و هي مما فتح موسى بن نصير (ينظر: مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، ص12).

[2] الزاب: منطقة سهلية تقع بين جبال أولاد نايل غربا و جبال الأوراس شرقا، أشهر حواضرها طبنة و بسكرة (ينظر: أبو عبيد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 164).

[3] تربى المعز تربية سنية و لم تكن الشيعة تعلم بذلك، فخرج في بعض الأعياد الى المصلى في زينته و حشوده و هو غلام، فكبا به فرسه فنادى بالشيخين وسمعته الشيعة التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاء رجاله و من يكتم السنة من أهل القيروان و وضع السيف في الشيعة، فقتل منهم ما ينيف عليه ثلاثة ألاف (ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 395).

[4] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 64-68.

حكام الدولة الحماية:

1-حماد بن بلكين ت	419 هـ (1028 م)
2-القائد بن حماد	446 هـ (1054 م)
3-محسن بن القائد	447 هـ (1055 م)
4-بكين بن محمد بن حماد	454 هـ (1062 م)
5-الناصر بن علناس	481 هـ (1088 م)
6-المنصور بن الناصر	498 هـ (1104 م)
7-باديس بن المنصور	500هـ (1106 م)
8-العزيز بن المنصور	515هـ (1121 م)
9-يحي بن العزيز	547 هـ (1152 م)

عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ،ص287.

ويتصف حماد مؤسس الدولة الحمادية في المغرب الأوسط بالدهاء والفطنة والتجربة في الحروب والفراسة والذكاء كما وصفه صاحب الاستبصار[1]، ويقول عنه ابن الخطيب" فريد دهره، فحل قومه، ملك كبير شجاع ثبت داهية حصيف"[2] صارم عالم في الفقه والجدل، تقي يصوم ثلاثة أشهر في السنة ولا يشرب الخمر، كريم مع حلفائه وأقسى من الحجر مع أعدائه وامتاز بحيلته[3]، أما عن معيشته فكانت بسيطة جدا، وحكم رعيته بنفسه.

والجانب الآخر من شخصيته تمثل في طغيانه وقسوته وفظاعته لدرجة صرفت عنه قلوب المحيطين به، فهو شخصية طموحة عنيفة، لا يصدها من غايتها عاطفة أو قانون أخلاقي أو ديني، فلم يعرف الرحمة وامتاز بقسوته الحربية فكرهه جنوده وبعض العامة، حين رأوا منه مواقفه من بعض المدن التي عاهدها واستسلمت له، ثم غدر بها[4] .

لكنه رغم هذه الظروف المحيطة به استطاع أن يُكَوِنَ لنفسه دولة يتركها لبنيه من بعده، فكان ينتظر الفرصة المواتية منذ عهد المنصور بن بلكين الذي كان يستعين بخبرته وشجاعته وجرأته على سفك الدماء في حرب زناتة، ثم اعتماد باديس بن المنصور عليه في حروبه، استطاع أن يبرز نفسه كقائد لايمكن للزيريين الاستغناء عنه، ونظر لهذه الأحداث كشف حماد عن مخططاته فرذخ له أمراء بنو زيري[5].

وكانت الحدود الجغرافية للدولة في عهده تقتصر على المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت والقلعة[6] التي اتخذت عاصمة لدولته الناشئة لموقعها الحصين على جبل عجيسة سنة

---

[1] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار النشر المغربية، دار البيضاء، ط2، 1986، ص167.

[2] لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 3، ص75.

[3] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، د ط، 1977، ص36.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 52.

[5] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص42,

[6]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص210.

398هـ/1007م، ونقل اليها سكان المسيلة وحمزة، فاعتنى بها حتى شهدت تطورا كبيرا في وقت قصير واستطاع مراقبة تحركات زناتة[1] وفتح أبوابها لكل الباحثيين عن معقل أمين حتى من اليهود والنصارى فازدحمت بالسكان وشجع المهتمين بالعلوم والفنون والتجارة وشيد بها المباني العظيمة والقصور المنيعة المتقنة والفنادق والمساجد وشجع هجرة أرباب الصنائع فأخذت تتقدم حثيثا حتى أصبحت من أعظم مدن الزاب وأجملها وأغناها وأعمرها[2].

توفي حماد بن بلكين في رجب 419هـ/ 1029م بتازمرت[3] في ضواحي القلعة، وكان خرج متنزها فمرض ومات وحمل إلى القلعة فدفن بها، وولى بعده ابنه القائد وعظم على المعز موته[4]، وتناقل أبناءه السلطة فيما بينهم وتوارثوا حكم الدولة، فاستقام الأمر من بعده لإبنه القائد 419-446هـ الذي تعد فترة حكمه امتدادا لفترة حكم حماد و التي تميزت بتنظيم القواعد الأساسية للدولة[5] لكنه أواخر عهده دخل في صراعات مع زناتة فحاربهم سنة 430هـ و حارب المعز حين حاصره في القلعة و أشير 432هـ، ثم خلفه ابنه المحسن و لو أن فترة حكمه قصيرة جدا دامت تسعة أشهر لأنه مات مقتولا حين خالف وصية أبيه القائلة:" ألا يخرج من القلعة إلا في تمام الثلاث سنوات و أن يحسن إلى أعمامه لكنه حاربهم"[6]، فوصل الحكم إلى بلكين بن محمد بن القائد الذي شبه حمادا كثيرا في سياسته العنيفة فيقول ابن خلدون:" قرما حازما سفاكا للدماء جريئا على العظام"[7]، لا يملآ يده إلا من لبدة الأسد، ولا يسرح لحظة إلا

---

[1] هادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج1،ص144.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص205.

[3] تازمرت: ربما هي بلدة تزملت الحالية التي تقع على بعد 30كلم جنوب غرب بجاية(ينظر: لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي و إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء،1964،ص456).

[4] -لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق ، ج 3، ص 87.

[5] -عبد الحليم عويس: المرجع نفسه ، ص 115.

[6] -لسان الدين بن الخطيب ، المصدر نفسه، ج 3، ص 86-87.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص353.

في نهاب بلد مضطهد، ولا يراح إلا وبحر الموت يلتطم، و لا يكلم إلا حين يبتسم، قهر رعيته وأخاف أقرانه والاستبداد على زمانه، غاية من سلف من جبابرة الأرض، وسمع به من فراعنة الإبرام والنقض، إلى شهرة آثاره وتطاوح أسفاره، فكان قبل كل شيء جندبا قضى حياته في الحروب، وفي أحد المرات بعد رجوعه من غزو شاق، أمر باستدعاء الجواري ومن بينهن بنت عمه التي كانت رائعة الجمال، ولكن خطر بباله مشروع، فأخذ يمشي في القاعة طولا وعرضا و لا يهتم بما كان يجري حوله. فقالت القيمة مازالت أراه، في يده كوب وبجانبه بنت عمه، فاعتذر وقربها إليه وبعدما لاطفها نهض فورا، فوضع الكوب في طاق وأغلقه ثم أمر بالركوب. فغزا المغرب الأقصى وبعد رجوعه جلس في نفس القاعة و أمر بإحضار الكوب وبنت عمه[1].

[1]أبو الحسن علي بن بسام الشنترني، النخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،د ط، 1939،مج1، ص157.

الفصل الأول :

التاريخ السياسي للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس

أولا : السياسة الداخلية للناصر بن علناس.

1-التعريف بالناصر وتوليه الحكم:

هو الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري الصنهانجي البربري، من أشهر ملوك الدولة الحمادية وأعظمهم شأنا وأعلامهم كعبا وأثبتهم قدما في الملك[1] جوادا كريما شجاعا كميا سفاك للدماء وفي أيامه استفحل ملك بنو حماد[2]، من أكثر الأمراء والملوك دهاءا وحزما، فكان له شأن جعل آل حماد يغترون على عهد لعظم شأنه[3] ويعتبر وصوله نقلا للسلطة إلى الفرع الثالث من أبناء حماد(علناس)[4].

قهر ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وغدره وأخذ الملك منه، حيث كان لبلكين أخا اسمه مقاتل، كان قد مات بطريقة مفاجئة، ولما كان بلكين يشك في كل من حوله اتهم جماعة من بينهم زوجته ناميرت وقتلها وهي أخت ابن عمه الناصر[5] الذي كان خامل الذكر آنذاك، وكان أصغر خلق الله عند بلكين شأنا وأهونه عليه سرا وإعلانا[6]، لكن هذه الحادثة كانت ذات أثر قوي في حياة الناصر[7]، فمن فتى علمه الخوف كيف يجسر، وهجم به ضيق المسالك على الموت وهو ينظر، لم يشاور إلا الحسام، ولا استصحب إلا الإقدام، وقد كان بعض نصحاء بلكين خوفه منه فأقسم ألا يدلج إلا خاسرا، وليقتلن الناصر إذا نزل ولو كان أسدا خادرا فأعجله الأمر، ولما يبدو وضح الفجر لقيه كأنه يسلم عليه أو يسير بين يديه فما راجعه الكلام إلا وقد

---

[1] أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، رت وإع: حسان عبد المنان، بيت الأفكار، لبنان،2004،ص4002.

[2] لسان الدين الخطيب، المصدر السابق ،ج3، ص96.

[3]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ،ج6، ص229.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص124.

[5]عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج6، ص 229.

[6]ابن بسام ،المصدر السابق، مج1،ص160.

[7] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص122.

جلله الحسام[1] يوم رجب 454هـ/1062م بتسالة[2]، وأمر برأسه فرفع على بعضها ويسير به أمامه والناس يظنون أن بلكين قد قتل بعض أتباعه الممتحنين، حتى طلعت الشمس وارتفع اللبس، أمر مضاربه وحشر زعماء ذويه وأقاربه، مخاطبهم قائلا:" أنتم تعلمون أن بلكين قتل أختي، وفجعني بأكرم حرمتي وإنما شفيت صدري و أحذرت بوتري لا لأني حدثت نفسي بسلطانكم ولا رأيتني أهلا للدخول في شيء من شأنكم فردوا عليه جميلا ورأوا إمهاله قليلا، وأمر لحينه بخزائن بلكين فأنهبها دؤبان العرب وصقورة زناته، فاستخلص بذلك غيوبهم وأمل إليه قلبوهم ورحل تحت ليلته يطوي المراحل[3]، بعد أن بايعته صنهاجة لأنهم تعبوا كثيرا من حروب بلكين.

ودخل القلعة454هـ، وارتقى إلى السلطة وهي نفس السنة التي تولى فيها تميم بن المعز ملك الدولة الزيرية[4].

2-التنظيم الإداري للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس:

إن النظام الإداري من الأنظمة المهمة التي اهتم بها أمراء بنو حماد، لتسهيل شؤون الدولة والتحكم بها، فانقسمت المناطق التي تقع تحت حكم الدولة الحمادية إلى مجموعة من الأقاليم والمدن وضع على كل منها حاكم يقوم بشؤونها ويخضع للحاكم العام للدولة، ولعل من أكثر الأمراء اهتماما بهذا الجانب الناصر بن علناس الأمير الخامس في عمر الدولة الحمادية، فمنذ الولهة الأولى التي تولى فيها الحكم قام بتوزيع هذه المناصب، التي غالبا ما تكون من

[1]ابن بسام ،المصدر السابق، مج1 ،ص160.

[2]تسالة: تقع على سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا، ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب(ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد الخضر،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2 ،1983م، ص24).

[3]ابن بسام ،المصدر نفسه ، مج1،ص160-161.

[4]رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص57.

نصيب الأسرة الحمادية[1] فعقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله ملیانة[2] وعلى حمزة[3] أخوه رومان، وعلى نقاوس أخوه خزر وكان المعز قد هدم سورها فأصلحه الناصر، وعقد على قسنطينة لأخيه بلبار وعلى الجزائر و سوس الدجاج[4]لابنه عبد الله وعلى أشير لابنه يوسف.[5]

أما جهاز الدولة فكان يتولاه وزراء، ويبدو أن هؤلاء يختارون لكفاءتهم بالدرجة الأولى لارتباط مصير الدولة بهم ، وإن أكثرهم من غير الحماديين[6]، ومن أبرزهم أبو بكر بن أبي الفتوح الذي استوزره الناصر، وقبله خلف بن حيدرة وزير بلكين و وزير الناصر من بعده[7].

و إلى جانب هؤلاء كانت بعض الأسر تحكم بعض المدن في ظل الحكم الحمادي، ومن هؤلاء بنو رمان الذين توارثوا حكم الجنوب في عاصمتهم بسكرة قاعدة الزاب، تحت النفوذ الحمادي[8].

وكان هناك كاتب للدولة في عهد الناصر، وهو أخوه القاسم بن علناس، الذي اهتم بديوان الإنشاء[9]، وامتنع كثير من بلاد افريقية عن آل باديس، وصارت صاغية إلى بني حماد، مثل أهل سوسة و صفاقس[10]وقابس وتونس، فكتب إليه حمو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس

---

[1]رشيد بورويبة، المرجع نفسه،ص59.

[2]ملیانة: مدينة حسنة البقعة، كريمة الزرع، في حبوبها جبل الونشريس يسكنه قبائل من البربر، ولنهر شلف مجرى بين بساتينها، (ينظر:الشريف الادريس، المصدر السابق،ج3،ص253).

[3]حمزة: مدينة بالمغرب نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سلمان بن حسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فنسبت إليه، على جبل عظيم (ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج1،ص302).

[4]سوس الدجاج: مدينة أزلية على شاطئ البحر، لها بساتين و جنات وآثار عجيبة، تقابلها جزيرة ميورقه(ينظر:مجهول ، الاستبصار، المصدر السابق، ص131).

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص229-230.

[6]عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص207.

[7]عبد الرحمن ابن خلدون، المصر نفسه، ج6،ص229.

[8]عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص270.

[9]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، 230.

[10]صفاقس مدينة قديمة عامرة، يصادفها السمك، أهلها لهم نخوة وعزه نفس، ومنها إلى المهدية مرحلتان (ينظر: الشريف الادريسي، المصدر السابق ، ج3 ،ص 281).

بالطاعة وبعث إليه بالهدية، ووفد عليه أهل قسطيلية[1]، ليعلنوا طاعتهم، فأجزل صلتهم وردهم إلى أماكنهم وعقد عليها ليوسف بن خلوف من صنهاجة، ووفد عليه مشايخة تونس و طلبوا منه أن ينظر في مدينتهم ، فولى عليها عبد الحق بن عبد العزيز بن خرسان[2] وهكذا دخلت هذه المناطق في طاعة الحماديين طوعا و خضعت للناصر.

ثانيا: الصراعات الخارجية للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس.

واجه الناصر بعد توليه الحكم وضعيات سياسية مختلفة تحيط بالدولة، كانت تحتاج منه الكثير من الكياسة لكي يتغلب عليها، فوجب عليه تحديد علاقته مع الزيريين أبناء عمومته، لكن ما تشير إليه الأحداث أن الناصر لم يوفق أول عهده في وضع أسس علاقة متينة تربطه معهم، فبعد أن خضعت له مناطق من افريقية وبعثت له بولائها حاول تميم استردادها[3] حين زحف إليه حمو بن مليل البرغواطي[4] صاحب صفاقس قاصدا المهدية، فخرج تميم للقائه، وانقسمت العرب عليهما، فأخضعها وانهزم حمو وأصحابه وتفرقت خيله وكثر فيهم القتل، ونجا بنفسه سنة 455هـ/1063م، وسار منها إلى سوسة فافتتحها[5] و مدينة تونس أخضعها، فشكلتا مناطق نزاع بين الدولتين تبادلا إخضاعها لسيادتهما[6]، وعليه فإن علاقة الناصر بن علناس بتميم اتسمت بالتوتر والعداء وبداية ظهور ملامح الطمع والأمل الأكبر في توسيع مملكة

---

[1] قسطيلية: مدينة عليها سور مبني بالحجر والطوب، ولها جامع محكم البناء، حصينة لها أربعة أبواب، كثيرة النخل والبساتين وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا، وشربها من ثلاثة أنهار(ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص57).

[2] عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه،ج6، ص230.

[3]عبد الحليم ، المرجع نفسه ، ص125.

[4]فتك بابن عمه منصور البرغواطي صاحب صفاقس وقتله في الحمام غدرا، وامتعض له حلفاءه من العرب وحاصروا حمو حتى بذل لهم من المال ما رضوا به، واستبد حمو بن مليل بأمر صفاقس، حتى إذا هلك المعز حدثته نفسه بالتغلب على المهدية فزحف إليها في مجموعة من العرب ولقيه تميم(ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ،ص 224)

[5]أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الكامل في التاريخ، مرا و نص: محمد يوسف الدقاق، مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م،ص372.

[6]هادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص305.

الحماديين في سقوط مملكة القيروان، وشكلت زناتة القوى المناوئة الأخرى من ناحيتها الغربية[1]، فلما ثار أهل بسكرة على الأمير الحمادي بلكين بن محمد حاربهم وقتل عاملهم جعفر بن أبي رمان، غير أنهم لم يكفوا واستفحلوا الثورة عند وفاته، فخلعوا طاعة آل حماد واستبدوا بأمر بلدهم وعليهم بنو جعفر، فسرح الناصر إليهم خلف بن حيدرة، وزيره و وزير بلكين قبله، فنزلها وافتتحا عنوة واحتمل بنو جعفر في جماعة من رؤسائها إلى القلعة فقتلهم وصلبهم، لكن هذا الوزير لم يطل كثيرا في منصبه فقد قتله الناصر بسعاية من رجالات صنهاجة، فقيل أنه حين بلغه خبر وفاة بلكين أراد توليه أخيه معمر وشاورهم في ذلك ، فقتله وولى مكانه أحمد بن جعفر بن أفلح و المعروف بأبي بكر بن أبي الفتوح[2].

ولما استتب ذلك وأخمدت الثورة في بسكرة، ثارت عليه زناتة من جديد حين خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب على بن ركان على تاقريوست[3] وهو جبل قلعة بن حماد دار ملكهم، وكان لما قتل بلكين هرب إلى أخوانه من عجيسة واهتبلوا الغرة في تاقريوست لغيبة الناصر، فطرقوها ليلا وملكها علي و رجع الناصر من المسيلة وعاجلهم فسقط في أيديهم وافتتحها عنوة وذبح على بن ركان نفسه بيده[4].

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص127.

[2]وزير الناصر بن علناس، كان له ميل لدولة تميم، يجب الاتفاق بينهما(ينظر:أبو الحسن على بن أبي أكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرا ونص، محمد يوسف الدقاق،مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1704ه،1987م، ص373).

[3]وردت تاقربست، تاقريوست، وهو جبل متصل ببسيط من الأرض تقع فيه مدينة القلعة دار ملك الحماديين (ينظر: الشريف الادريسي، المصدر السابق،ج3، ص59).

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6،ص230.

ثالثا: موقف الناصر بن علناس من الصراعات القائمة في المغرب .

1-موقفه مع الجبهة الشرقية:

بعد عهد طويل دام 47سنة، توفي المعز بن باديس متأثرا بمرض الكبد في 04 شعبان 454هـ/1062م، وكان عمره56سنة، فقام بأمره ابنه تميم وغلبته العرب على افريقية فلم يكن له إلا ما ضمه السور، فأخذ يخالف بينهم و يسلط بعضهم على بعض[1]، حيث وصلت الدولة إلى نهاية مجدها بفعل التخريب الهمجي التي خضعت له على يد القبائل العربية من بنو هلال الاثبج ورياح و زغبة وعدي وغيرها[2]، فأصبح بنو زيري في وضع لا يسمح لهم بمناجزة أي قوة، و كانوا يلتقطون أنفاسهم لمواجهة القبائل العربية بوسائل التقريب والتفريق وغيرها[3].

ويرجع سبب دخولهم المغرب إلى المعز بن باديس أمير الدولة الزيرية الذي صرف دعوة العبيديين إلى غيرهم من بني العباس وأزال أسمائهم من السكة سنة441هـ/1049م[4]ونقش فيها **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**[5]، وهو الأمر الذي يحسب له، فلقد نصر المذهب السني على حساب المذهب الشيعي الذي اتبعه أجداده، واستطاع بشجاعته أن يظهر ما يبطنه من تعاليم الحق.

و لما بلغ ذلك صاحب مصر وهو المستنصر دبر في دخول العرب إلى افريقية وأباح لهم مجاز نهر النيل إلى المغرب وكان ممنوعا عنهم من قبل، وجعل لمن جاز فروة ودينارا،

---

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج 6 ،ص212.

[2]الطبقة الرابعة من العرب المستعجلة ، بطونهم كثيرة منها: الاثبج ورياح وزعبة وعدي وربيعة (ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص3)

[3]عبد الحليم عويس،المرجع السابق، ص.16.

[4]لسان الدين الخطيب،المصدر السابق،ج 3، ص73.

[5]سورة آل عمران ،الاية:85.

فعبر منهم خلق عظيم[1]، من جثم و الاثبج و زغبة ورياح وربيعة وعدي[2]، وخرجت أول حملة هلالية سنة442هـ/1050م في نحو 400 ألف[3] تقارعوا على البلاد وساروا في افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا وأتوا عليه سنة443هـ/1051م[4]، فواجههم المعز في معركة في منطقة حيدران بين قابس[5]و صفاقص سنة443هـ، ولكنهم انتصروا عليه انتصارا حاسما واستولوا على باجة[6] و قابس و قسنطينة وتونس و بونة، فأدار المعز على القيروان سورا داخليا سنة446هـ/1054م[7]، ولما رأى ضياع ملكه صاهر ببناته ثلاثة من أمراء العرب.

وفي سنة 447هـ /1055م بعث ابنه تميم إلى المهدية، وفي شهر رمضان من العام التالي ركب المعز إليها ونزلها ودخل العرب القيروان فاستباحوا وخربوا عمرانها ومبانيها وعاثوا في محاسنها وطمسوا معالمها وجردوا قصورها، فتفرق الناس في الأقطار و اقتصر ملك تميم على شريط ضيق من الساحل يحيط بالمهدية و أحوازها و صفاقس وجزيرة جربة[8].

فوقف بنو حماد وقفة تفرج أمام كل ما يتعرض له أبناء عمومتهم في افريقية، فلم يعرف عنهم أنهم تحركوا بدافع النخوة القبلية لحماية الزيريين وملكهم، وإلا لكنا قد رأيناهم مشتبكين في صراع دائم مع القبائل العربية وهو الأمر الذي لم يحدث[9].

---

[1]لسان الدين الخطيب،المصدر نفسه ، ج3 ،ص74.

[2]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6،ص19.

[3]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام ، ج1، دار الامة للنشر و التوزيع، الجزائر،2003م، ص342.

[4]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6،ص20.

[5] قابس: مدينة من بلاد الجريد، بينها وبين طرابلس 8 أيام ، وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية لها واد يسقي بساتينها وأراضيها ، حاضرة هذا الإقليم و قطبة(ينظر : مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، 113).

[6]باجة: مدينة افريقية مشهورة تقع على جبل شديد البياض يسمى الشمس، كثيرة الأنهار والعيون رخيسة الأسعار(ينظر: مجهول، الاستبصار، المصدر السابق،ص160).

[7] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص187.

[8]لسان الدين الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص585.

[9]عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص129.

حيث أن هذه الهجومات العربية تزامنت تماما مع رغبة الناصر بن علناس في التوسع ناحية الشرق، فإنه رأى في بنو هلال القوى التي تخلصه من الزيريين، دون آن يكلف نفسه دخول حرب معهم لا ضمانة فيها ، فيخسر الأموال والعتاد والأرواح وبالتالي التوسع بأريحية بعد انتهاء العرب من تدمير ملك بني زيري، وهذه العداوة التي أظهرها الناصر ليست حديثة العهد في نفوس الحماديين بل أنهم توارثوها أبا عن جد، حيث يقول النويري:"... وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك، فلما رأى القائد قوة العرب، وما نال المعز منهم، خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولد محسن، وبعده ابن عمه بلكين، وبعده ابن عمه الناصر"[1]، بالإضافة إلى الفوائد الجمة التي طالت بلادهم من مصائب الزيريين، فيقول ابن الأثير:" عمرت بلادهم وكثرت أموالهم وحققوا ما في نفوسهم من الضغائن والحقود حقدا يرثه الصغير عن الكبير"[2].

2-موقفه مع الجبهة الغربية:

شهدت الناحية الغربية للدولة الحمادية صراعا حاد بين قوتين: قوة المرابطين[3] الذين يشكلون الفرع الجنوبي الصنهاجي، وقوة زناتيين الذين يسيطرون على جزء من المغرب الأوسط، وعلى جزء من المغرب الأقصى يمتد إلى فاس[4].

---

[1]-شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24، تح : عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص117.

[2]-أبو الحسن علي ابن الاشير، المصدر السابق، مج 8،ص372.

[3] المرابطين: الملثمون من سكان الصحراء من قبيلة الصنهاجية كانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام، جاهدوا في سبيله وأسسوا الدولة المرابطية(ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص242).

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،ص126.

فالمرابطون حملوا على أعناقهم راية الجهاد القبائل الوثنية في المغرب الأقصى والقضاء على قوة زناتة[1] .فغزوا بلاد سوس448هـ/1056م، ونزلوا مدينة لواتة[2] وفتحوها عنوة وقتلوا من كان بها من زناتة 452هـ/1060مـ، واختط يوسف بن تاشفين مدينة مراكش454هـ/1062م، ثم صرف عزمه إلى مطالبة مغراوة وبنو يفرن[3] وقبائل زناتة فدوخ المغرب[4].

وانتشرت أخبار النصر في أرجاء المغرب كله، مؤذنة بظهور دولة فتية على يد هؤلاء القوم الأشداء من بدو الصحراء[5].

أما الناصر وعلى امتداد فترة حكمه، بدت زناتة وكأن حربها ميراث تقليدي يجب على الناصر أن يدفعه ، فإن السمة العامة لعلاقته بزناتة هي العداء المستمر، فتتبع أمرهم بالقتل والخديعة والأسر كلما بدا منهم عمل عدائي ضده، وهو نفس حالها مع المرابطين، فكانت تقع بين فرعي صنهاجة تتلقى منها الضربات ، دون أن يدخل الناصر في مواجهة مباشرة مع المرابطين[6]، فيذكر الأستاذ الدكتور حسن محمود إلى أنه لو كانت الدولة الحمادية قوية في ذلك الوقت لاطمأن المرابطون، ولانصرفوا إلى فتح السهول الشمالية، تاركين أمر زناتة في المغرب الأوسط إلى بين عمومتهم[7]، وهو رأي يرجح فيه الدكتور إلى وجود تعاطف قوي بين صنهاجة الجنوب و صنهاجة الشمال لدرجة تسمح بمثل هذه الثقة السياسية[8] .

---

[1]–حسن أحمد محمود، قيام الدولة المرابطية ،صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط،دت،ص193.

[2] لواتة: هو بطن عظيم من بطون البربر البتر، مواطنهم في نواحي برقة، بطونهم كثيرة: ملايان ومرنة وغيرها (ينظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه،ج6،ص152).

[3]بنو يفرن: من بطون زناتة، مواطنهم بنواحي تلمسان(ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص22).

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص245.

[5] حسن احمد محمود، المرجع نفسه، ص194.

[6] عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص137.

[7] حسن احمد محمود، المرجع السابق،ص205.

[8] عبد الحليم عويس، المرجع السابق،126.

فإذا اعتبرنا أن هذا هو سبب عدم مواجهة الناصر بن علناس للمرابطين مواجهة حربية مباشرة، وأن هناك تعاطف بربري بين الحماديين والمرابطين وهما من بطنان مختلفان من صنهاجة فالأولى من تلكاتة، والثانية من لمتونة، لرأينا تعاطف قوي وحقيقي على الساحة السياسية بين الحماديين والزيريين، وهما أبناء زيري بن مناد الصنهاجي، ولبرزت العاطفة البربرية وسارع الحماديون في انقاض بنو زيري، فهم الأولى بهذه العاطفة في هذه ظروف.

والراجح أن الناصر بن علناس رأى من الحكمة أن يترك القوتين المتنافستين له في الجهة الغربية ينهكان بعضهما، فلا يدخل في صراع مباشر مع المرابطين الذين كانوا في أوج تقدمهم الحربي، كما أن المرابطين لم يروا أن من مصلحتهم ولا من مصلحة دولتهم الناشئة أن يدخلوا في صراع مع الحمادين لاسيما بعد أن توغل بلكين بن محمد في المغرب الأقصى واحتل فاس[1].

رابعا: موقعة سبيبة و نتائجها.

بعدما رأينا توتر العلاقات الحمادية الزيرية، المتمثلة في صراع الناصر بن علناس وتميم بن المعز، حول مناطق بافريقية، فالأول رغب في التوسع من خلالها وزيادة حدوده الجغرافية على حساب ملك أبناء العمومة في الناحية الشرقية، وأظهر ذلك جليا.

والثاني يستردها كلما خضعت للأخر بالإضافة إلى العداء والحقد الدفين الذي أظهره الناصر لتميم من خلال موقفه من هجومات بني هلال التخريبية على افريقية، فلم يكتف بهذا بل خرج في فلّ جنده من صنهاجة وزناتة والاثبج وزغبة، ليحارب تميم ويحاصره في المهدية.

[1] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،ص126.

ويرجع ابن خلدون سبب هذا الهجوم إلى الفتن والحروب التي وقعت بين القبائل العربية، فوفد عليه رجالات الاثبج صريخا به على رياح، فأجابهم ونهض إلى مظاهرتهم في جموعه من صنهاجة وزناتة[1].

أما ابن الأثير فكان له رأي آخر حيث قال:" اتصل بتميم بن العز أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنو هلال ليعينوه على حصار المهدية، فلما صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بنو رياح فأحضرهم إليه وقال: أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا، وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم فقالوا له، الذي تقوله حق ونحب منك المعونة، فأعطاهم المال والسلاح و جمعوا قوتهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر، وأرسل إلى من مع الناصر من بني هلال يقبّحون عندهم مساعدتهم الناصر ويخوفونهم منه بأنه قوي ويهلكهم بمن معه من زناتة و صنهاجة، وأنهم إنما يستمر لهم المقام و الاستلاء على البلاد إذا تم الخلف وضعف السلطان، فأجابوهم بالموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس نعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فأجابوهم إلى ذلك واستقر الأمر، وأرسل المعز بن زيري الزناتي إلى من مع الناصر من زناته بنحو ذلك ، فوعدوه أيضا أن ينهزموا[2]، وكان للناصر أخ اسمه القاسم نهاه عن الخروج وقال له:" أقم ببلادك وابعث إلى هؤلاء العرب وصانعهم ياتوك طائعين، وفي نوالك طامعين"، فأبى إلا أن يخرج[3].

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6،ص230.

[2] أبو الحسن على ابن الأثير، المصدر السابق، مج8،ص372-373.

[3] محمد عبد المنعم الحميري، روض المعطار في خير الأقطار ، تح: إحسان عباس مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1،1975م،ص81.

خرج الناصر بن علناس للقاء تميم في سنة457هـ، والتقى الجمعان في سبيبة[1]، فغدرت به زناتة وجرّوا عليه وعلى قومه وانخذلت العرب[2]، وضحى القاسم بنفسه في سبيل أخيه وطلب منه أن يسلمه تاجه ورايته وأن ينجو بنفسه ويبقى هو ليقاتل حتى قتل[3]، و انهزم الناصر وقتل من جيشه أربعا وعشرون ألفا وسلم في نفر يسير وغنم العرب جميع ما كان في العسكر مال وسلاح ودواب وغير ذلك، فاقتسموها على ما استقر بينهم، وبهذه الموقعة تم للعرب ملك البلاد فإنهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب، فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي عن البلاد وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابها إلى تميم فردها وقال:" يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي فأرضي العرب بذلك"[4].

نجا الناصر إلى قسنطينة مع أتباعه، ثم لحق بالقلعة في فل من عسكره لم يبلغوا مائتين، فاتبعته رياح إلى قسنطينة ثم القلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وساروا في الأمصار مثل طبنة والمسلية فخربوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى، والضياع والمدن فتركوها قاعاصفصفا أقعر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغيروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد وهجّروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالهم في الأمصار، و ملكوا عليهم الضواحي ويأخذ ون لهم الإثارة على التصرف في أوطانهم[5]، فبلغت حال الدولة بعد موقعه سبيبة حدا كبيرا من السوء، وقد أصبحت بلاد المغرب مفتوحة أمام القبائل العربية وبدا للناصر أنه سيفقد كل شيء[6]، وكانت نتائجها خطيرة أيضا بالنسبة

[1] سبيبة: ناحية من أعمال إفريقيا ثم من اعمال القيروان ينسب إليها عبد الله محمد بن إبراهيم السبيتي الخطيب بالمدينة(ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1 ،ص186).

[2] عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص230.

[3] محمد عبد المنعم الحميري،المصدر السابق،ص81.

[4] أبو الحسن على ابن الأثير، المصدر السابق،مج8،ص374.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص43.

[6] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،ص131.

إلى الأمير الزيري تميم لان بنو هلال في افريقية أصبحوا أقوى مما كانوا من قبل[1]، و وجب على الناصر أن يسرع ويتخذ الخطوات العاجلة ويعيد للدولة نظامها وهيبتها، ولم يكن أمامه سوى طريق الصلح مع ابن عمه.

1-الصلح بين تميم والناصر:

وقف تميم من هزيمة الناصر موقفا إنسانيا وأخلاقيا كريما[2]، فقد أصابه حزن شديد وبلغ ذلك الأمير الحمادي، فشاور وزيره أبو بكر بن أبي الفتوح الصلح، فقال الوزير: "ألم أشر عليك أن لا تقتصد ابن عمك؟ وان تتفقوا فإنكما لوا تفقتما لأخرجتما العرب"، فقال الناصر:" لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فأصلح ذات بيننا"، فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح، فقبل تميم وأراد أن يرسل رسولا إلى الناصر، فاستشار أصحابه واجتمع رأيهم على محمد بن البعبع ، فسار مع الرسول حتى وصل إلى الناصر، فدخل عليه وقال:" معي وصية إليك وأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر:" أنا لا أخفي عن وزيري شيء"، فقال:" بهذا أمرني الأمير تميم"فقام الوزير أبو بكر وانصرف ولما خرج قال الرسول :"يا مولاي إن الوزير مخامر عليك هواه مع تميم، لا يخفي عنه من أمورك شيء"، وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملكه ويقرب من بلاد افريقية، وقال له:" أنا انتقل إليك بأهلي وأدبر دولتك"، فأجابه الناصر إلى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة، ولما وصلا إلى الموضع أراه الميناء والبلد وغير ذلك فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسُرّ بذلك وشكره وعاهده على وزارته إذا عاد إليه ورجعا إلى القلعة[3].

[1]رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص65.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،ص131.

[3]ابن الاثير، المصدر السابق،مج8،ص374-375.

نما الخبر إلى تميم فأرصد لابن البعبع العيون، فلما أراد الهرب قبض عليه وقتله وألحق به عاقبة الغدر[1]، هذا ما ذكره ابن الأثير عن تأسيس بجاية، ويسانده في ذلك ياقوت الحموي، بينما النويري و صاحب الاستبصار يرجعان سبب بناء بجايةإلى نتائج موقعة سبيبة حين انهزم الناصر[2].

ويرى رأي ثالث أن الناصر بن علناس الذي تولى الأمر بعد قتله للأمير السابق له بلكين بن محمد ، قد كره مجاورة بني حماد الذين يميلون إلى بلكين في القلعة، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة 12 ألف فارس، وهذا أمر مستبعد فكما أشرنا سابقا إلى سياسة بلكين اتجاه جنده والرعية، فإنه كان سفاكا للدماء ، كثير الحروب فكرهه الناس[3]، وثمة آراء أخرى يرى بعضها أن بناء بجاية يرجع إلى مجرد الخوف من غزوات الهلاليين، ويرى بعضها أن بناء بجاية يرجع إلى الصدفة، إذ أن الناصر كان يمر في طريقه إلى القلعة فأعجبته قرية صغيرة لصنهاجة تدعى بجاية[4].

أما عن آراء المؤرخين المتأخرين، يقول رشيد بورويبة:" إن السبب الرئيسي لتشيد بجاية هو أن الناصر كان يريد فتح المهدية، فتبين له أنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هجم عليها من جهة البر وجهة البحر"، لذلك اختار مرسى مأمونا أقرب من افريقية من المراسي الموجودة بمملكته، وواقعا في ناحية غنية بالحديد والغابات تسمح له بإنشاء الأسطول الذي يحتاج إليه لتحقيق مشروعه، والدليل على أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بنو هلال في

[1] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، مج1، دار صادر، بيروت 1397هـ/1977م،ص339.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص99-100.

[3] لسان الدين الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص64.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص100.

عهد الناصر وحتى، في عهد ابنه المنصور بقيت عاصمة ثانية للحماديين، وأن الأميرين المذكورين شيدا فيها عدة مباني مشهورة[1].

أما عبد الحليم عويس فيقول:" يمكن أن تكون قصة ابن البعبع صحيحة ، ونحن نرجح حدوثها ، ويمكن أن يكون الناصر قد شارك ابن البعبع الرأي وتفقد المكان بنفسه، كما أنه لاشك أن من أهداف العاصمة الجديدة حماية الدولة الحمادية من غارات الهلاليين"[2].

إن بناء مدينة جديدة ونقل العاصمة إليها هو تفكير سليم، نظرا للظروف التي يمر بها المغرب الأوسط من تسرب القبائل الهلالية المخربة بعد موقعة سبيبة، ومدينة بجاية هي المدينة المطلوبة لهكذا تفكير وهكذا وضعية فحصانتها وموقعها الهام تماشى تماما مع تفكير الناصر المتمثل في الابتعاد عن الحروب التي لا فائدة منها و لا نتيجة، والتفرغ لتطوير الدولة حضاريا في شتى الميادين الممكنة واستغلال كل ما تزخر به المدينة من ثروات و تشغليها فيما ينفع مصلحة الدولة والهروب بها إلى أبعد من دوامة الصراعات.

2-بجاية عاصمة جديدة للدولة الحمادية:

تمثل بجاية في تاريخ الدولة الحمادية مرحلة التحضر والانفتاح والهدوء والاتساع، وذلك منذ أن اتخذت عاصمة لهم، إحدى أهم المدن في المغرب الأوسط وقاعدته[3]، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، محدثة بناها الناصر بن علناس صاحب القلعة وصيّرها دار ملكه ولهذا تسمى الناصرية[4]، لكن غلب عليها تسمية بجاية نسبة إلى القبيلة التي كانت تسكنها وتدعى بجاية أو بوجي من صنهاجة ، وكانت حين ذلك قرية صغيرة[5].

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص68.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص101.

[3] عبد الحليم عويس،المرجع نفسه،ص99.

[4]محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص81.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج1،ص339.

بنيت على شكل مدرج فوق منحدرات وسفح جبل أمسيون الشاهق(غورايا حاليا)[1]، ويشير صاحب الاستبصار إلى حصانة المدينة فيقول:" مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة الغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالواد الكبير وطريق القبلة إلى قلعة بن حماد على أعقاب و أوعار وكذلك طريقها إلى الشرق، وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب فلم يكن للعرب إليها سبيل ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر..."[2].

وتمتاز بجاية بمناخ معتدل جدا في الصيف ويكثر سقوط المطر الغزير في منطقتها، لا سيما في الشتاء كما أن البحر المتوسط يلطف دائما من جوها ويعطيها كل مميزات وخصائص المدن الساحلية[3].

بناءها بالنسبة للناصر، بداية لفترة امتدت قرابة عشرون سنة، كان كل همه فيها تحقيق الانتقال بالدولة إلى دور التحضر والاستقرار فيبدوا أن الناصر إنسان مسالم يميل إلى الهدوء ولا يحب الانغماس الكثير في المشاكل السياسية و معظم الحروب التي خاضها كانت تفرض عليه، أو كان يقع فيها ضحية خداع القبائل العربية، ورغبة في مداراتها، لكن ما إن أتيح له أن يحقق لنفسه ودولته الاستقرار والهدوء حتى بادر إلى ذلك ، وقد كانت أمواج الفتن والاضطرابات تحيط بالدولة من كل جانب وتتطلب رجلا يجيد الانغماس في العمل السياسي

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2،1983،ص46.

[2] مجهول ، الاستبصار، المصدر السابق،ص129-130.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،ص103.

والعسكري وبصير بعواقب الأمور، ولكن الناصر قد رأى أن طريق الهدوء والبعد عن المشاكل هو الحل المناسب له ولدولته[1].

وعندما شرع في بناءها سنة460 هـ اجتذب إليها عددا كبيرا من السكان، إذ كان يعفي جميعهم من الضرائب ، وكان يجبر الأهالي على بناء المساكن ، كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة أن يجلب معه حجرا أو يدفع قطعة من الذهب، وفي العام التالي461هـ انتقل إليها[2] وبدأ يقوم بعملية تحضير شامل لها ، فأنشأ بها دارا للصناعة والأساطيل والمراكب و إنشاء السفن و الحرابي حتى صارت عين بلاد بن حماد ونسّقها تنسيقا بديعا[3].

سور مدينة بجاية

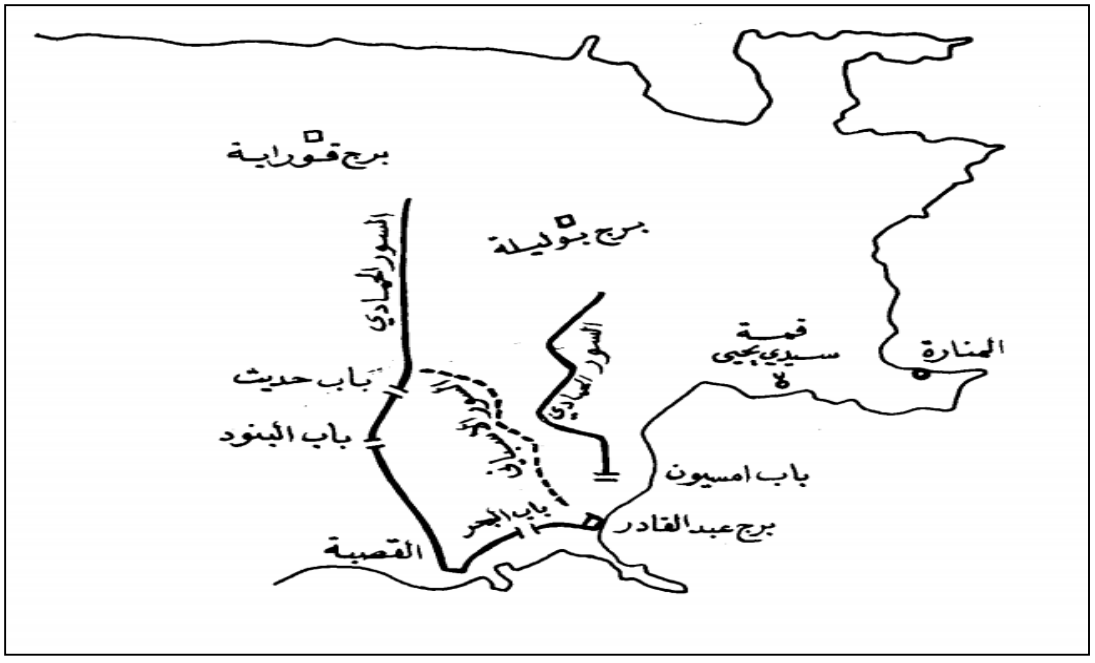

رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ص 200.

[1]عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص137.

[2]ابن بسام ، المصدر السابق، مج3، ص167.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه ،ص104.

3-تجديد العلاقات الحمادية مع الجهتين الشرقية والغربية:

بعدما تعرض له الناصر من غدر و انخذال من حوله و انهزامه في موقعه سبيبة، سعى في تغيير سياسته معهم، وانتهج مع العرب سياسة تشبه سياسة تميم معهم، وهي التفريق بينهم وضرب بعضهم على بعض والحذر الشديد منهم، ويبدو أن الناصر قد عمق صلته بقبيلة الاثبج في هذه الآونة على الرغم من موقفها من سبيبة[1].

أما افريقية، فقد رأينا أن تونس قد خضعت للناصر وولى عليها عبد الحق بن خرسان، فاتفق تميم وحلفائه بعد هزيمة سبيبة 457هـ، على حصارها فدام ذلك 14شهرا، خضع فيها ابن خرسان لتميم، هذا ما دفع الناصر إلى هجوم أخر على افريقية[2]، فكانت تونس رهانا للتنافس بين بني زيري وبني حماد، و اضطرت للدخول تارة في طاعة صاحب بجاية وطورا في صاحب المهدية[3].

وحاصر الناصر الاربس [4]460هـ/1066م، وكان مع الاثبج من العرب وبقى عليها حتى افتتحها وأمن أهلها وقتل عاملها ابن مكراز[5]، وبمعونة هذه القبيلة التي يبدو أن مصيرها قد ارتبط نهائيا بالحماديين، تقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم، ويختصها الحماديون دون سائر العرب بالرئاسة، وصل الناصر إلى القيروان ودخلها ثم عاد منها خوفا من جميع العرب سنة461هـ/1067مـ[6].

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع نفسه،133-134.

[2] عبدالرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص224.

[3] هادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج1،ص305.

[4] الاربس: مدينة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وهي في وطاء من الارض، بوسطها عين جارية لاتجف، وهي مدينة مسورة لها ربض كبير، تعرف ببلد العنب(ينظر: محمد عبد المنعم الحميري، روض المعطار في خير الاقطار، تح: احسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت،ط1975،1،ص24)

[5] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج1،ص429.

[6] عبد الحليم عويس، المرجع السابق،ص134.

لكن ورغم هذا الهجوم الحمادي الجديد على افريقية، ومحاولة تميم استرجاع تونس، أراد الاثنان الصلح مجددا، فالنسبة للأمير الزيري تميم كان خائفا من بني رياح الذين كانوا قد تغلبوا على زغبة وطردوهم من افريقية سنة 466هـ، و أصبحوا يشكلون خطرا كبيرا لمملكته[1] و من جهة أخرى كما ذكر ابن عذاري أن افريقية كانت قد أصابتها مجاعة عظيمة ووباء عظيم، مات فيه من الناس خلق كثير، فزوج تميم ابنته بلارة من الناصر، و جهزها إليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وذخائر[2]وقال ابن الأثير ان الناصر حمل " إليه ثلاثين ألف دينار فأخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقي"[3].

وحين رأى من عقلها وعلو همتها وكرم شمائلها، ملكت شفاف قلبه وأحبها حبا شديدا ، وابتنى لها بقلعة بني حماد و بجاية قصورا شامخة، وأحاط بها الحدائق الأنيقة فيها الورد والريحان، ومن كل فاكهة زوجان ومن تحتها الأنهار الدافقة و الأزهار الشائقة، وجلب إليها كل ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين ، إكراما و احتفاءا بزوجته الأمير بلارة[4].

أما زناتة فلم تتوقف عن عدائها المعتاد، فقد خرج المستنصر بن خزرون الزناتي في أيام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر، ووصل إلى طرابلس فوجد بني عدي بها قد أخرجتهم الاثبج وزغبة من افريقية، فرغبهم في بلاد المغرب و ساربهم، حتى نزل المسيلة، فدخلوا أشير وخرج إليه الناصر ففر إلى الصحراء ورجع إلى مكانه من الإفساد فراسله الأمير الحمادي في الصلح فأسعفه وأقطعه ضواحي الزاب و وريغة[5]، و أوعز إلى عروس بن سندي رئيس بسكرة لعهده و ولي دولته أن يمكر به، فوصل المستنصر إلى بسكرة وخرج إليه عروس بن سندي وأحمد

[1]–لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص133.

[2]ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص430.

[3]ابن الاثير، المصدر السابق، مج8، ص124.

[4]حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، دط،1353هـ،ص51.

[5] وريغة: قرية متسعة لها فواكه وبساتين وسوق يسمى الجمعة(ينظر: الإدريسي، المصدر السابق،ج1،ص254).

نزله وأشار على حشمه عند انكباب المستنصر وذويه على الطعام، فبادروا لطعنه، و فر أتباعه وأخذوا ورأسه وبعثوه إلى الناصر فنصبه ببجاية وقتل كثيرا من رؤساء زناتة[1].

وكانت ولاية أعمال المدية و شلف على عهد الناصر لعاملين من سنجاس ، فالمدية لأبي الفتوح بن حبوس ، و شلف لمعنصر بن حماد، فخرج الأول عن طاعة بني حماد فقتله الناصر وهجم الثاني على مدينة مليانة وقتل من بها من المشيخة والرؤساء من بني ورسيفان المغراويين، فاستئذن يومئذ سكان مليانة في قتال معنصر فأذن لهم الناصر، فقتلوه وبعثوا إليه برأسه وهو ببجاية فوضعه إلى جانب المستنصر الزناتي[2].

وبلغه عن بني توجين من زناتة أنهم ظاهروا بني عدي من العرب على الفساد وقطع السبيل وأميرهم إذ ذلك مناد بن عبد الله، فبعث ابنه المنصور إليهم بالعسكر وتقبض على الأمير بني توجين وأخيه زيري وعميهما الأغلب وحمامة، وأحضرهم فوبخهم وقدر عليهم فغلبه في إجارتهم من أولاد القاسم رؤساء بني عبد الواد فقتلهم جميعا على خلاف[3].

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230-231.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص171.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج6، ص231.

الفصل الثاني :

الإنتعاش الحضاري للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس

(461-481هـ).

الفصل الثاني: الإنتعاش الحضاري للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس (481هـ/461هـ).

أولا: عوامل إزدهار مدينة بجاية.

1-العامل الجغرافي:

إن الموقع الجغرافي لمدينة بجاية ساعدها كثيرا على أن تكون عاصمة بارزة في بلاد المغرب، فموقعها المتوسطي ووقوعها على الساحل و إنفتاحها على البحر جعلها على إطلاع دائم بما يحدث حولها، و موقعها الحصين بين الجبال حمى ظهرها من الخطر الهلالي أو أي خطر يمكن أن يهددها، حيث ذكر صاحب الإستبصار أنها محاطة بجبال شامخة ووعرة و البحر منها في ثلاث جهات [1]، أي أنها محمية و محصنة طبيعيا.

و من الناحية الإستراتيجية استجاب الموقع لبعض الأسس التقليدية، فكما كانت القلعة واقعة على جبل عجيسة و محمية به، فالأمر نفسه بالنسبة إلى بجاية بوقوعها على جبل أمسيون (غورايا حاليا).

و مزية أخرى تتمثل في مراقبة الشرق و الغرب بسهولة، و من الناحية البشرية تقع بين قبائل بربرية من بطون صنهاجة على إستعداد للدخول في نفوذ الحماديين مثل قبيلة بجاية و تلكاتة من بطون صنهاجة و قبائل زواوة و سدويكتش من كتامة من البرانس[2]و هي قبائل إستقرار و مدر[3]، وهذا الموقع الإستراتيجي الهام لم يكن له إرتباط فقط بوقوعها على البحر، إذ أنها من

---

[1]-مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، ص 129.

[2]-خديجة بورملة: بجاية المدينة و الميناء و دورهما في التجارة المتوسطية خلال العصر الوسيط، عصور الجديدة، المجلد8، العدد1، ماي 1439هـ/2017-2018مـ، ص 47.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 197.

جهة أخرى تمثل موقعا ممتازا يمكنها من التحكم في الأقاليم المجاورة لها، التي ستقوم بتمويلها في المستقبل بكثير من المواد المطلوبة [1].

إذن فإن عهد الناصر بن علناس تميز بتوسع المملكة الحمادية توسعا كبيرا حيث أننا نشاهد تأسيس مدينة بجاية و إدخال عدد كبير من المدن و المناطق تحت السلطة الحمادية و هي مليانة، نقاوس، قسنطينة،الجزائر بني مزغنة، بسكرة، صفاقس، قسطيلية، تونس و القيروان[2]، فعرفت الدولة في عهده أقصى إتساعها و أوج إزدهارها السياسي و العمراني [3].

الحدود الجغرافية للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس :

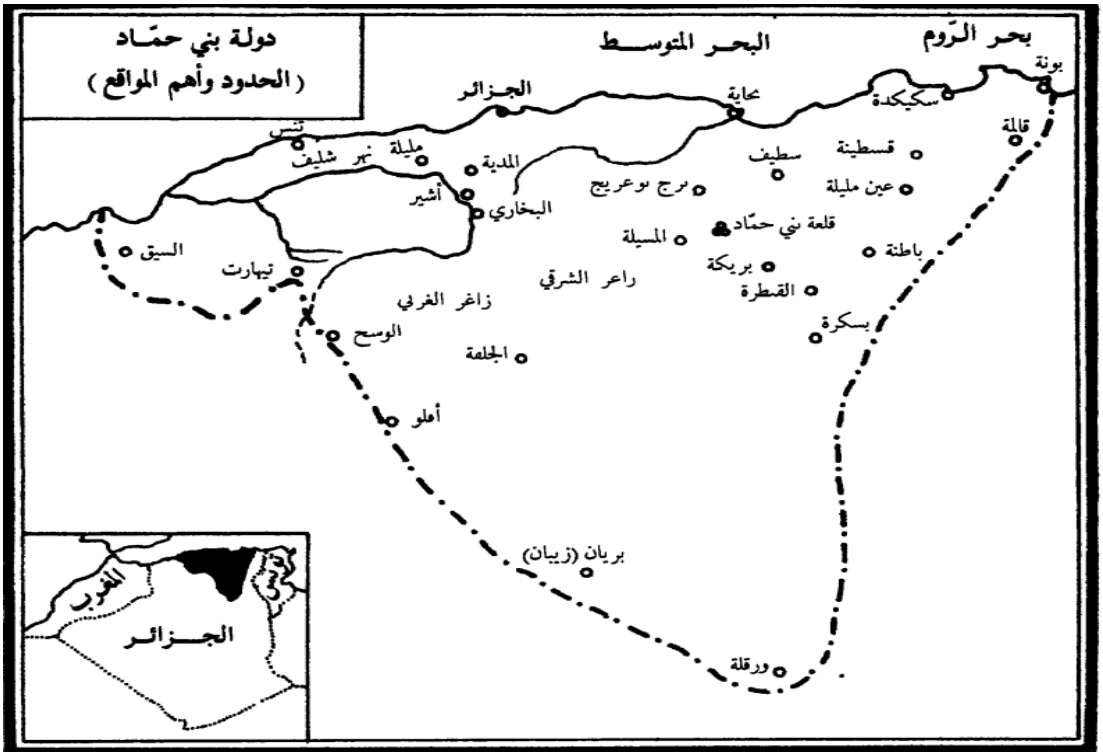

عبد الحليم عويس، المرجع نفسه ، ص 97.

[1]–خديجة بورملة، المرجع نفسه، ص 47.

[2]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 117.

[3]–المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 25.

2-الإستقرار السياسي:

حقق الناصر بن علناس للدولة الحمادية بعد أن اتخذ بجاية عاصمة له، حالة من الهدوء و الإستقرار السياسي، و ذلك بعدما وضع حدا للصراعات المغاربية، حيث عقد الصلح مع الزيريين و زوج الأمير تميم إبنته بلارة إلى الناصر، و أثمر هذا الزواج السكينة على الطرفين، و تجنب الحماديون و المرابطون الدخول في صراع مباشر، فتوجهت أنظار أتباع يوسف بن تاشفين إلى الأندلس و تلبية نداء ملوك الطوائف، فبسقوط الخلافة الأموية في الأندلس اختفت الوحدة الشرعية و الألفة بين الأحزاب المتنافرة، فقامت في كل مدينة دويلة بلغت الثلاثة و عشرون، تناحرت فيما بينها، ماشجع النصارى على توجيه الضربات إلى المسلمين و شنوا حربا لا هوادة فيها نابعة عن شعورهم العدائي للعرب و المسلمين، تهدف إلى طردهم من الأندلس و أسموها حرب الإسترداد[1].

ففي عام 474هـ، وفد عليه جماعة من أهل الأندلس، شكوا إليه ما حل بهم من أعدائهم، فوعهدهم بإمدادهم و إعانتهم و صرفهم إلى أوطانهم.

و كان الجواز الأول سنة 479 هـ، حيث طرق بلاد المعتمد على الله بن العباد، فشكوا إليه حالهم ليكتب يوسف بن تاشفين إلى سائر أمراء الأندلس يستنفرهم للجهاد، و التقى المسلمون بقيادة الأمير المرابطي و النصارى بقيادة الملك أذفنش في منطقة زلاقة[2]، و كانت الغلبة للمسلمين[3]، لكن السنوات الممتدة من 472هـ إلى 475هـ، شهدت زحفا مرابطيا على تلمسان التي كانت تابعة للزناتيين، و بعض المدن من المغرب الأوسط، لكن المرابطين الذين كانوا يفكرون في الأندلس و

---

[1]-عباس نصر الله سعدون، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ- 1975 م، ص 57،58.

[2]-زلاقة: بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الأندلس، فيها الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية أذفنش بن فرذلند (ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 288).

[3]-مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ص 33، 38.

يخشون العداء الصريح للحماديين سرعان مارجعوا إلى مراكش سنة 475هـ، كما أن الناصر كثيرا ما كان يردد غزو المغرب بحيث أوقف المرابطين بمكانهم من تلمسان[1].

أما قبائل بني هلال فقد إنتشروا أكثر في المغرب الأوسط ليشتبكوا بقبائل زناتة، التي دارت بينهما حروب طاحنة كانت نتيجتها إندحار زناتة أمام الهلاليين[2]، حيث أن الصراع الهلالي لم يقتصر مع ملوك صنهاجة فحسب، بل سرعان ما انتقل ليشمل زناتة، فبعد أن غلب العرب صنهاجة إجتهدت زناتة في مدافعتهم بما كانوا أملك للبأس والنجدة و البداوة[3].

غير أن علاقتها بالمرابطين تميزت بالهدوء و التفاهم لدرجة تجنيد المرابطين للهلاليين في حروبهم بالأندلس، حيث أن الهلاليين و منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب و ما وجدوا بها من صراعات، استغلوا ذلك لعرض خدماتهم العسكرية، فخطب الجميع ودهم و طلبوا مساعدتهم، و كانت أولى الإتصالات المرابطية الهلالية حين إقترب المرابطون من أراضي الحماديين غربا الكائنة بها مضارب الهلاليين وصولا إلىأسوار مدينة جزائر بني مزغنة في معركة تلمسان 472هـ[4].

أما عن إنتشارهم في المغرب الأقصى، فلا يبدو أنهم وصلوا إليه إلا في القرن السادس هجري، حيث أدى الموحدون دورا هاما في ذلك، حين نقلوا أعدادا غفيرة منهم التي كانت مستقرة في المغربين الأدنى و الأوسط إلى المغرب الأقصى، محاولة السيطرة منهم في حروبهم و

[1]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 127.

[2]–علي بن منجب الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، تح: عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، د ط، 1923م، ص 13.

[3]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 42.

[4]–نور الدين مسعودي، القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية لدولة المرابطين (541–448هـ/1056–1147م)، مجلة القرطاس، العدد التاسع، جويلية 2018، ص 12.

توسعاتهم في الأندلس[1]، فيأكد على ذلك ابن خلدون في قوله:"...فدخلوا في دعوتهم و تمسكوا بطاعتهم و لم يزل الموحدون يستنفرونهم في جهادهم في الأندلس"[2].

و نظرا لهذه الظروف، و صرف كل طرف إهتماماته بعيدا عن الدولة الحمادية، و الإشتغال بجبهات أخرى متعددة، سعى الناصر بن علناس إلى تجميع و تأهيل جيشه من جديد، فهو قوة و هيبة كل دولة، ليحقق قفزة نوعية في العدة و العدد و التنظيم، غير أن إحصائه لا يعد أمرا دقيقا حيث تحاشت جل المصادر التاريخية إحصاء الجيش في عهد الدول و الإمارات المغاربية إبان العصور الوسطى[3]، فالمراكشي وصف الجيش الحمادي في عهد حماد قائلا:" فنهض إليه حماد في عساكر عظيمة"، و في عهد الأمير القائد:"... في جيوش عظيمة و جموع كثيرة" [4].

و بناء على ذلك يمكننا القول أن تعداد الجيش الحمادي لم يكن قليلا قبل عهد الناصر و يؤكد ذلك حجم الإنتصارات الميدانية التي حققها، و الهزيمة التي ألحقت بالناصر و جيشه سنة 457هـ، لم تكن سوى نقطة تحول لهذا الجيش، الذي أصبح المبادر بالهجوم و الحصار في الجبهتين[5]، فقد حاصر مدينة الإربس في إفريقية[6].

و لئن كانت القوات البرية ركيزته فإن في عهد الناصر أصبح للبحرية شأن كبير بعد تغيير مقر العاصمة للساحل، ففرض تكوين تشكيلة عسكرية جديدة تمثلت في سلاح البحرية، و هكذا لعب الجيش الحمادي خلال عهد الناصر دورا محوريا في تثبيت الأمن في أرجاء بلاد المغرب الأوسط [7]،حيث حين بدأت مدن إفريقية تسقط بيد الفرنج 481هـ، استولوا على مدينة زويلة و

---

[1]–محمد محسن داوود، تغريبة بني هلال الأسباب – الأثار، ص 04.

[2]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

[3]–صلاحي حسام، الجيش الحمادي و دوره في درء الأخطار الخارجية خلال عهد الناصر بن علناس (454–481هـ/1062–1089م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثالث، العدد الاول، جانفي 2021، ص 62.

[4]–عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 205.

[5]–صلاحي حسام، المرجع نفسه، ص 63.

[6]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 299.

[7]–صلاحي حسام، المرجع نفسه، ص 67.

بعدها بقليل توفي الناصر[1]، فإنه لم تحفظ لنا كتب التاريخ أنه تعرضت أي مدينة حمادية للإعتداء من قبل الفرنج أثناء عهد الناصر و هو ما يوحي إلى القوة البحرية الحمادية أنذاك، ضف إلى ذلك الحدود البرية الحمادية سلمت هي الأخرى من الإعتداءات الخارجية سوى ما تعرضت له القلعة من تخريب من طرف بني هلال[2].

3- التركيبة البشرية:

تنوعت الشرائح الإجتماعية في الدولة الحمادية، و اختلفت بين سكان أصليين و آخرون توافدوا بفعل الهجرات الطارئة و الإرادية، فالطارئة المتمثلة في الهرب من الحروب و الصراعات و الإرادية المتمثلة في الرغبة في التجارة أو طلب العلم، فبجاية العاصمة الآمنة محط أنظار الكثيرين، القبلة المثالية للهجرة، تواجد بها من سكانها الأصليين قبائل بربرية متعددة عاشت في حماية الدولة الحمادية، أخذت تتعارف و تمتزج فاختلطت صنهاجة بكتامة، و كتامة بزناتة[3].

و عناصر طارئة مختلفة أهمها العنصر العربي المتمثل في قبائل بنو هلال، التي تعتبر هجرتها حدثا بالغ الأهمية في تاريخ بلاد المغرب، لما أحدثته من تغيرات جذرية في المنطقة سياسيا و إقتصاديا و إجتماعيا [4]، لدرجة أنها كانت محط إهتمام الدارسين و الباحثين خاصة المستشرقين الفرنسيين، الذين إهتموا بتاريخ المغرب في العصر الوسيط بدوافع و نزعة إستعمارية، حيث أنهم طرحوا الفكرة التالية: قامت الحضارة القرطاجية بتخصيب الأرضية الليبية البربرية، و قام الوجود الروماني بإدماج بلاد المغرب في فلك الحضارة المغربية قبل أن تفل و تظلم مع الفتح العربي و تربط بالدورة التاريخية الشرقية للاحتلال العربي الذي تم على مرحلتين (الفتح العربيفي

---

[1]–شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، تج: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1413ه/1993م، ج 34، ص 117.

[2]–صلاحي حسام، المرجع نفسه، ص 67.

[3]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 236.

[4]–نور الدين مسعودي، المرجع السابق، 12.

القرن السابع ميلادي و الهجرة الهلالية في القرن الحادي عشر)، قام بطرد البربر السكان الأصليين الذين لا يمكنهم إسترجاع أراضيهم إلا مع الوجود الفرنسي، و بالتالي العودة إلى فلك الحضارة الغربية المتنورة، فركزوا على الهجرة الهلالية و دورها في تخريب بلاد المغرب كما صورت لنا ذلك البربري المستقر في مواجهة الرحل العرب.

هذه النظرة المعادية للعرب تجلت في جل الدراسات الفرنسية حول تاريخ المغرب الوسيط التي كتبت في بداية القرن العشرين، و أول من قام بنشر هذه الأفكار العنصرية أرنست مرسي و كذا الجنرال دوبايلي.

و بعد هؤلاء ظهرت مجموعة أخرى وسعت من مجالات البحث، فحّملوا العرب مسؤولية التخلف الذي تعيشه بلاد البربر و الداعية إلى إعادة النظر في الحقوق المسلوبة لهم بسبب الهمجية المشرقية، و على رأسهم جورج مرسي و فليكس غوتي، الذي اتهم العرب بتحطيم حضارة المغرب الموروثة عن الرومان و البزنطيين و تشبيه الحركة الهلالية بهمجية الشعوب المتبربرة المحطمة لحضارة روما، و مع نهاية الربع الأول من القرن العشرين ظهرت سلسلة من الدراسات الإستعمارية أخرى حاولت مسح اسم المغرب و تعويضه ببلاد البربر[1].

و في حقيقة الأمر ماكان دخولهم يفرز مثل هذه النتائج الخطيرة لولا الأوضاع المتردية التي كانت عليها السلطة الزيرية بإفريقية عشية دخول الهلالي، إذ كانت على وهن و تفكك مايغنيهم عن بذل مجهود كبير في السيطرة على أراضيها نجملها في:

- النزاعات الداخلية بافريقية بين السنة و الشيعة.
- الصراع المتواصل بين السلطتين الزيرية و الحمادية من جهة و القبائل الزناتية من جهة أخرى.

[1]–علاوة عمارة، دراسات. في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2008، ص ص 11، 13.

- خروج المقاطعات الطرفية عن السلطة المركزية[1].

لذا فإن المؤرخين اتفقوا على المبالغة في تصوير التدمير الهلالي للمغرب، و المسؤولية لا تقع عليهم فقط بل إن صنهاجة هي الأخرى لم تحسن سياسة هؤلاء العرب و قد بالغ الكتاب الغرب في تقدير الأضرار حتى حمّلوا الهلاليين المسؤولية [2].

لا يمكن إنكار أن الهجرة الهلالية إلى المغرب و إصطدامها مع الأطراف المتناحرة فيه و تفاعل الحروب، نتج عنه التراجع الحضاري لبلاد المغرب، لكن في المقابل لا يمكن غض البصر عن دورهم الإيجابي في عدة مجالات، فالتاريخ سجل لهم مواقفهم الحسنة مع إخوانهم المسلمين في الأندلس، فقد لبوا نداء الواجب عدة مرات، كذلك إنتفعت الدولة الحمادية من خبرتهم في مجال الزراعة و تربية المواشي، حيث إشتغلوا لدى الناصر بن علناس في جمع الأموال و الجباية و تنظيم أمور الدولة و أراضيها [3]، و عملوا على نشر اللغة العربية حيث أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال على اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي في الأرياف و المدن أيضا، فتعرب جل البربر[4]، فتعتبر القبائل الهلالية جزء من المجتمع الحمادي لها شخصيتها الثقافية و الإجتماعية المتميزة من لغة و عادات و فكر[5].

و من العناصر الأخرى الطارئة على أراضي الدولة الحمادية العنصر الأندلسي و الذي كان تردده على المغرب الأوسط ضعيفا قبل هذه الفترة –القرن السادس هجري– و ذلك بسبب

---

[1]–فوزية كوراز : السيطرة الإقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، دورية كان التاريخية، العدد الثاني عشر، جويلية 2011، ص 53.

[2]–مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 186.

[3]–الحميري،المصدر السابق،ص538.

[4]–مبارك الميلي، لمرجع السابق، ج2، ص 283.

[5]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق ، ص 236.

غياب دواعي الإستقطاب لاسيما المحفزات العلمية و فرص العمل في وظائف هامة كالقضاء و التعليم و الكتابة و غيرها، وذلك راجع إلى قلة المراكز و الحواضر العلمية و السياسية[1].

غير أنهم تواجدوا في السواحل للتجارة، فأنشئوا العديد من المدن و الثغور من بينها مدينة تنس (262هـ/875م) و التي أصبحت قاعدة تجارية هامة للسفن الأندلسية[2]، يقول البكري في شأن ذلك :" و كان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، فتجمع إليهم بربر ذلك القطر و رغبوا في الإنتقال إلى قلعة تنس و سألوهم أن يتخذوها سوقا و يجعلوها سكنا ووعدوهم بالعون و الرفق و حسن المجاورة، فانتقلوا إلى قلعة تنس و خيموا بها و انتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس و غيرهم"[3]، و كان تواجدهم في بجاية حيث يقول أيضا:" مدينة بجاية أولية أهلة عامرة بأهل الأندلس"[4]، و مع بروز بجاية حضاريا بدأ التوافد الأندلسي إليها بكثرة، فتعدى غرض التجارة إلى الإستقرار بها و العمل فيها، فوجدوا ترحيبا حفيفا، و تولوا بها المناصب الإدارية و قاموا بالتدريس و إمامة المساجد[5]، فازدهرت الحياة الفكرية لكثرة توافد العلماء الأندلسيين، بالإضافة إلى هجرة أخرى من مركز إسلامي آخر تعرض لنفس ظروف الأندلس، و هو إقليم صقلية، الذي كان في يوم من الأيام من المراكز الإسلامية، إلا أن ضعف المسلمين و إنقسامهم على أنفسهم، سهل على النورمان أخذه و إضطهاد المسلمين به [6].

---

[1]–فؤاد طواهرة، الهجر الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي و المجال الجغرافي، مجلة حوليات التراث، العدد 15، 2015، ص 166.

[2]–ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

[3]–البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 61.

[4]–البكري، المصدر نفسه، ج1، ص 268.

[5]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج 5، ص 126.

[6]–مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج 3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 207.

مادفع بعدد من سكانه إلى الهجرة نحو المدن الساحلية للمغرب الإسلامي و من بينها بجاية، فساعد هؤلاء على إزدهار الحركة العمرانية حيث يبدوا أنهم أقاموا قصورا لهم، و حتى المهاجرين الأندلسيين شيدوا بها منازل يغلب عليها الطابع الأندلسي [1].

و لم يهاجر إلى بجاية المسلمين فقط بل تواجدت بها طوائف أخرى و أقليات من أهل الذمة، فالمسيحيون عوملوا معاملة حسنة و عاشوا في رحاب الدولة الحمادية [2]، لدرجة أقام لهم الحاكم الناصر بن علناس كنيسة لهم و بحث لهم عن أسقف ليقوم بتنصيبه عليها [3].

و كان اليهود موجودين بقلعة بني حماد، خصوصا بعد خراب القيروان و كانوا تجارا، أطباء، صياغ، أو خبراء بالأمور المالية، و بعد بناء بجاية إنتقلوا إليها [4].

و قد عاشت هذه الطوائف حياة مستقرة حافلة بالعطاء العمراني و الحضاري خاصة في عهد الناصر بن علناس، فقد نجح الحماديون في فتح كل النوافذ دون أن يفقدوا أنفسهم، و أرسوا سياسة التسامح و الحرية أساسا يقوم عليه البناء الإجتماعي[5].

ثانيا: التطور الإقتصادي للدولة االحمادية في عهد الناصر بن علناس.

1-النشاط الزراعي:

إستطاعت الدولة الحمادية المساهمة في تطوير و ترقية الفلاحة في المغرب الأوسط، و ذلك من خلال إنتهاج سياسة زراعية ناجحة، تحققت بفضل جهود و اهتمام أمرائها و في مقدمتهم حماد بن بلكين (408-419هـ/1017-1028م)، الذي أولى الزراعة إهتماما كبيرا، فاعتمد على

---

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 173.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 237.

[3]-سامي سلطان سعد، دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام 469هـ/1076م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، معهد التاريخ، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص 44.

[4]-رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 166.

[5]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 239.

الموارد الطبيعية التي تزخر بها أراضي مملكته، و شجع الناس على الإعمار و الإستقرار و ممارسة الزراعة، فيقول ابن الخطيب :"...و اتخذ فيها القصور العالية، و القصاب المنيعة، و المساجد الجامعة، و البساتين الأنيقة، و نقل إليها الناس من سائر البلاد"[1].

و يذكر ابن خلدون أن الناصر بن علناس إنتهج نفس السياسة حين أسس العاصمة الجديدة بجاية، فأقام المشاريع و اهتم بالزراعة ووضعها ضمن أولوياته[2]، و أسقط المكوس و المغارم عن الراغبين في إستيطانها، فازدهرت و انتشرت المزارع و البساتين[3].

خاصة و أن أغلب مناطق الدولة الحمادية بوادي غنية بالموارد الطبيعية و الأراضي الخصبة فاستغل الحماديون ذلك، فتزودوا بالغلال الزراعية والمنتوجات الفلاحية من بواديها كبونة، شرشال، تنس، باغاية، جزائر بني مزغنة[4]، عكس الفاطمين الذين اتسموا بالقوة و القسوة و جورسياستهم المالية، "إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية"[5].

لذا فإن سياسة الحماديين ناجحة و حكيمة و حققت أهدافها وساد الرخاء و تضاعفت الثروات الزراعية و الحيوانية[6]، لكنها لم تكن لتحققها لولا وفرة الموارد المائية بها، حيث يذكر البكري أن لوفرة الماء شأن في جعل هذه الزراعة تنمو و تكثر[7]، فتوفرت الأنهار في الأراضي الحمادية بكثرة، فمدينة باغاية (خنشلة حاليا) ذات أنهار عديدة حسب ما ذكره صاحب الإستبصار، و لا شك أنها تستغل في ري المزارع و الأشجار المثمرة فالمنطقة ذات ثمار و

[1]–لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 329.
[2]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207.
[3]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 350.
[4]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 76–93.
[5]–ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 135.
[6]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 221.
[7]–البكري، المصدر السابق، ج 3، ص 33.

مزارع[1]، و يذكر ابن حوقل أن المدينة من واد يأتيهم من القبلة[2]، و مدينة قسنطينة تقع على ثلاثة أنهار عظام[3]، و بسكرة و نقاوس و طبنة و قلعة بني حماد و بجاية ذات الوادي الكبير الذي يأتيها من جهة الغرب و هو نهر عظيم عليه الكثير من الجنات و البساتين[4]، فلا بد لكل هذه الأنهار التي تجري بين المدن الحمادية أن تسقي الأراضي و البساتين و تساعد في نمو الزراعة بها.

غير أن ظاهرة الجوائح المائية حالت دون ذلك، فقد كانت تسبب الخسائر من الحين لآخر، فأفسدت الفيضانات المزارع و البساتين و اضطر أصحابها للهجرة و التخلي عنها، و فشل الولاة في التصدي لها بعدم قدرتهم على تطوير نظام الري، فاضطربت أحوال الزراعة، إلى أن قام السلطان الحمادي في بجاية بجلب المياه عن طريق القناطر من جبالها نحو المدينة وسهولها فاستعملت كمياه للشرب و أخرى للسقي[5]، و يمكن تصنيف الثروة الزراعية في الدولة الحمادية خلال عهد الناصر بن علناس إلى مايلي:

1- الحبوب:

يذكر القلقشندي أن أشهر الحبوب في الدولة الحمادية هي : القمح، الشعير، الحمص، الفول، العدس، الذرة و الجلبان[6]، و التي انتشرت زراعتها في سهل متيجة[7]، برشك، تنس، قسنطينة، شرشال، قلعة بني حماد، باغاية، طبنة، بونة، جيجل و سطيف و بجاية و جزائر بني مزغنة.

---

[1]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق،ج 3، ص 163.

[2]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

[3]-البكري، المصدر السابق، ص 63.

[4]-مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، ج 3، ص 130-172.

[5]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 67.

[6]-أبو العباس أحمد القلقشندي، الصبح الأعشا، ج 1، دار الكتب المصرية القاهرة ، د ط، 1340هـ/ 1922م.

[7]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 266-268.

و بعد بروز بجاية بقيت القلعة أرضا زراعية جيدة للإنتاج وكان العرب يقومون على جباية أموالها و تنظيم أمورها كعمال للدولة الحمادية[1]، فقال عنها الإدريسي:"بلاد زرع و خصب، و فلاحتها إذا كثرت أغنت، و إذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع، و الحنطة تختزن بها فتبقى العام و العامين لا يدخلها الفساد و لا يعتريها تغيير"[2].

أما بجاية التي احتلت المكانة الأولى لأكثر من نصف عمر الدولة[3]، كثيرة الخيرات، جل أراضيها زراعية بحتة، لها بواد و مزارع و حنطة و شعير[4].

وعبر الإدريسي عن وفرتهما في المناطق و السهول المرتفعة فذكر قسنطينة و حنطتها التي تختزن في المطامير مائة سنة لا تفسد، حيث تتواجد في كل دار منها مطمورتان أو ثلاثة منقورة في الحجر و لذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها و اعتدال هوائها فلا تفسد [5].

2-الخضر: انتشرت زراعة الخضر في أرياف المغرب الأوسط إنتشارا كبيرا، حيث كانت المصدر الأهم لدخلهم كما مارسها أيضا عامة الناس بجانب بيوتهم[6]، فتواجد الفول و الخس، البسباس، القرعة، اللفت، القثاء، و غيرها فكثر بالمسيلة زراعة البقوليات[7]، و نقاوس اشتهرت بالجزر[8]، و باجة بالفول و الحمص[9].

3- الفواكه : اشتهر المغرب الأوسط بمختلف أنواع الفواكه،يمكن تحديدها كالتالي:

---

[1]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 222.

[2]-الإدريسي، المصدر نفسه، ج 3، ص 261.

[3]-عبد الحليم عويس،المرجع نفسه، ص 222.

[4]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[5]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص257.

[6]-ابن خلدون، مقدمة، المصدر السابق، ص 130.

[7]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 254.

[8]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 90.

[9]-الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 314.

أ- السفرجل : إنتشرت بساتين السفرجل في تاهرت و عرف بجودته و حسن طعمه و رائحته[1]، و تواجد كذلك في برشك و تنس حيث ذكر الإدريسي أن شرشال بها فواكه حسنه و سفرجل كثير الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار.

ب- التين : من الفواكه أيضا التي انتشرت في المغرب الأوسط تحديدا في مرسى الدجاج و شرشال و تاجنة على مرحلة من تنس، فذكر الإدريسي أن تاجنة :" شجر التين كثير جدا يعمل منه شرائح مثل الطوب و يحمل منها إلى كثير من الأقطار ".فاشتهرت بانتاجه حيث كان يجفف و يصدر إلى الخارج[2] .

ج- العنب : إنتشر العنب و الكروم في عدة مناطق من المملكة الحمادية، فتواجد بكثرة في ورقلة و باجة و المسيلة و برشك و شرشال[3].

د- النخيل : تكثر أشجار النخيل في المنطقة الجنوبية للمغرب الأوسط و تعتبر بسكرة من المناطق المنتجة للتمر و نجده كذلك في طولقة و طبنة و نقاوس و المسيلة [4].

هـ- الجوز : كثر انتشاره في جبل ملیانة و نقاوس التي كانت تصدره إلى المشرق، و بجاية و جيجل و تبسة [5].

4- الثروة الحيوانية:

اشتهر المغرب الأوسط بوفرة الثروة الحيوانية و تربية المواشي و مختلف الحيوانات الأخرى، فتواجد البقر و الغنم و الخيل في مدينة جزائر بني مزغنة و مسيلة و تلمسان و شرشال، و

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ص 111.

[2]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 258 259.

[3]-الحموي، المصدر السابق، ص ص 337-339.

[4]-البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 52.

[5]-الحميري، المصدر السابق، ص 539.

الحمير و البغال التي استعملت للسفر و الركوب و العمل في الأراضي[1]، و اشتهر كذلك بتربية النحل فكثر العسل به، ليقول الإدريسي:" و مدينة الجزائر على ضفة البحر يتخذون النحل كثيرا فكثر العسل و السمن في بلادهم و ربما يتجهز إلى سائر الأقطار المجاورة" و من المدن المنتجة للعسل أيضا نذكر : برشك، بونة، تاهرت، شرشال، قسنطينة، وهران، مازونة[2].

و اشتهر أيضا صيد السمك فنهر المسيلة فيه ماء مستنبط على وجه الأرض و ليس بالعميق، و هو عذب و فيه سمك صغير، لم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته، و أهل المسيلة يفتخرون به، و يحمل البعض إلى القلعة[3]، كذلك سمك مرسى الخرز و بونة و جيجل جيد كثير[4].

خريطة لأهم المحاصيل الزراعية في المغرب الأوسط :

خديجة بورملة، الحياة الإقتصادية في المغرب الأوسط، مجلة كان التاريخية، ص 104.

[1]–ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 76–86.

[2]–الإدريسي، المصدر السابق، ج3، ص ص 159–172.

[3]–الإدريسي، المصدر نفسه، ج 3، ص 156.

[4]–ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 101–104.

2- النشاط الصناعي:

لم يقتصر نشاط الحماديين على الزراعة و حسب، بل إمتد إجتهادهم و مثابرتهم إلى النشاط الصناعي فبرعوا فيه أيضا، و ذلك نظرا لاهتمام الأمير الحمادي الناصر بن علناس و دعمه لهذا الجانب، خاصة و أن أراضي مملكته تحتوي و بوفرة على الموراد الأولية، و على هذا الأساس تنوعت الصناعات و اختلفت و لعل أبرزها ما يلي:

أ- صناعة السفن :

لم يكن للبحرية الحمادية شأن قبل نقل مقر العاصمة إلى بجاية، فوقوعها على الساحل فرض إنشاء قوة بحرية، و تزامن ذلك مع توفر كل المقومات الطبيعية و البشرية لصناعة السفن، مثل الخشب الذي يمثل مادة رئيسية في صناعة المراكب البحرية إضافة إلى وفرة الحديد [1]، فسارع الناصر إلى إنشاء دار الصناعة في بجاية لأن الخشب في جبالها و أوديتها كثير موجود[2]، فتوسع النشاط الحربي للبحرية الحمادية فمن مرسى الخرز كانت تخرج منه الشواني غازية بلاد الروم[3] و مرسى بونة اشتهر بصناعة السفن و المراكب الحربية كالقوارب و الأسلحة الحربية و الأقواس، و ذلك لوفرة الخشب الموجود بها ذات النوعية الجيدة، حيث كانت بونة تسمى بلد العناب لكثرة العناب بها [4]، و منه خشب سقوفهم ووقودهم و منه جميع مايتصرفون فيه[5].

و إلى جانب غابات بونة ذكر البكري غابات بجبال الرحمان قرب مدينة القل، فيها أشجار خشبها قابل للخرط ولاسيما بمكان يسمى مرسى الخراطين حيث يقول :" هو جبل عظيم خارج

---

[1]-صلاحي حسام، المرجع السابق، ص ص 63-64.

[2]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 260.

[3]-البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 757.

[4]-العناب: شجر شائك من فصيلة السدرية، و يطلق العناب على ثمره أيضا، و هو أحمر اللون حلو لذيذ الطعم، (ينظر: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 2004م، ص 63).

[5]-الحميري، المصدر السابق، ص 228.

في البحر فيه مزارع كثيرة و مراع مريعة منه يحمل عود الخرط إلى إفريقية و ما ولاها و فيه أسواق كثيرة و مراسي منها مرسى الخراطين"[1].

ب-الصناعة الفخارية:

بفضل الدراسة التي قام بها جورج مارسي حول قطع من الفخار عثر عليها في بجاية، نرى أن الحماديين كانوا يستعملون الفخار خصوصا لصنع الأواني، مثل الصحون الكبيرة مسطحة القعر، كما ظهرت أيضا صناعة القوارير الزجاجية و الأواني الخزفية البراقة و الملونةو أواني النحاس الأحمر و الأصفر المنقوش و كانت الزخارف تشتمل على عناصر هندسية و نباتية، كتابية، معمارية، حيوانية[2]، ووجد أيضا كؤوس و أقداح و أطباق و كوانين لمواجهة برد الشتاء، و صنعوا القدور و الخوابي لحفظ طعامهم، كما عثر في القلعة على عدة شققات من الخزف و الأواني المنزلية المصنوعة من الطين و النحاس و الحديد [3].

ج-الصناعة المعدنية:

توفرت المعادن في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، فتواجدت في جل أقطاره، فالحديد بمجانة و بونة و بجاية يقول الإدريسي:" و بها معادن الحديد الطيب... و من الصناعات كل غريبة و لطيفة" و الفضة و الرصاص و الأثمد بمجانة و اللزورد بجيجل و الجص بمتوسة على حوالي 12 ميلا عن بجاية، و النحاس في جبال كتامة[4]، فيقول البكري:" و على هذه المواضع من جبال كتامة معادن النحاس و منها يحمل إلى إفريقية"[5]. كذلك تحتوي هذه الأقاليم على مادة

[1]-البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 269.

[2]-جورج مارسي، المرجع السابق، ص 152.

[3]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 220.

[4]-الإدريسي، المصدر نفسه، ج 3، ص 192-196.

[5]-البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 268-269.

الزفت البالغ الجودة و القطران[1]، كل هذه الثروات المعدنية تحتاج إلى العمل عليها و تحويلها من مادة خام و إلى ما يمكن الإنتفاع به، فيتطلب ذلك وفرة اليد العاملة المؤهلة و النشيطة و هذا ما أكده الإدريسي في قوله:" و بها من الصناعات و الصناع ماليس بكثير من البلاد"[2].

د- الصناعة النسيجية:

توفر الصوف و القطن في مسيلة و نقاوس و طبنة و الكتان في بونة، فازدهرت الصناعة النسيجية و إشتهرت بجاية بصناعة مختلف الملابس ذات الجودة العالية، كصناعة العمائم حيث قال صاحب الإستبصار:" كانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبة تساوي العمامة الخمسمائة دينار و الستمائة دينار، و كانوا يعممونها بأتقن صنعة، فتأتي كأنها تيجان، و كانت لها قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس تعمم عليها تلك العمائم"[3].

و كانت العمائم الحمادية تشبه عمائم الفاطميين التي وصفها المقريزي[4].

و تصنع بقلعة بني حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة و الرقة، حسنة مطرزة بالذهب صوفها ناعم [5]، و مدينة تبسة المعروفة بصناعة البسائط، حيث يقول الحموي:" يعمل بها بسائط جليلة محكمة النسيج، يقيم البساط منها مدة طويلة"[6].

هـ-الصناعة الطبية: أخذت صناعة الأدوية في بجاية حقها هي الأخرى من مختلف الصناعات التي وجدت في الدولة الحمادية فقد صنعت الأدوية التي أستخلصت من النباتات و الأعشاب

---

[1]-الحميري، المصدر السابق، ص 81.

[2]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 260.

[3]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 152-156.

[4]-أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح: جمال الدين الشيال ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط 2، 1996م.

[5]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 180.

[6]-الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 44

المنتشرة في جبالها فمنها: البربازيس، القنطريون، الرواند، الأسقيوس...إلى غير ذلك من الأعشاب التي كان ينتفع بها في علاج بعض الأمراض، كلسعات العقارب التي تكثر في جبالها[1]

خريطة لأهم الصناعات في المغرب الأوسط:

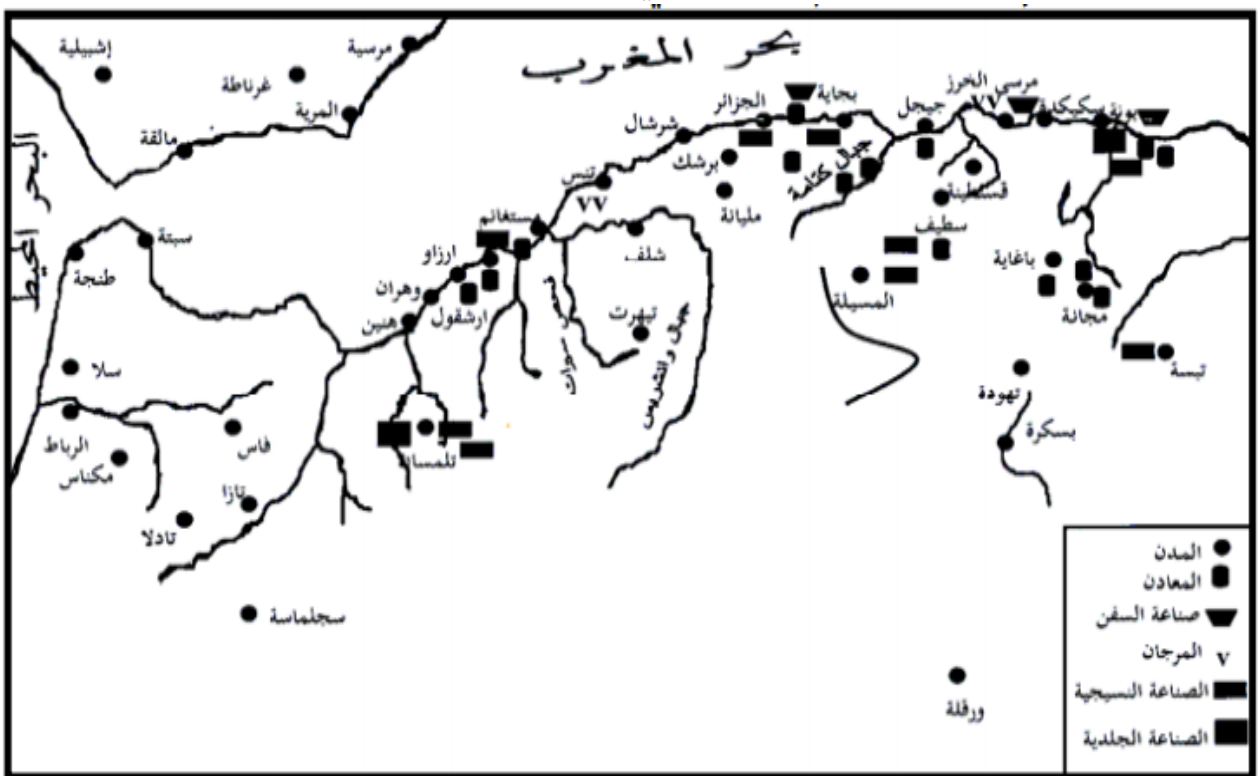

خديجة بورملة، الحياة الإقتصادية في المغرب الأوسط، مجلة كان التاريخية، ص 104.

3-النشاط التجاري:

نظرا للهدوء السياسي الذي عرفته الدولة الحمادية خلال هذه الفترة و توفر الأمن و الإستقرار بها، و إزدهار الزراعة و الصناعة أدى ذلك إلى بروز النشاط التجاري بفرعيه البري و البحري، حيث أصبحت التجارة من أبرز الأنشطة الإقتصادية في الدولة الحمادية.

[1]-الحميري، المصدر السابق، ص ص 80-81.

1-أهم المراكز التجارية و الموانئ:

إتفقت المصادر على أن التجارة التي كان يزاولها الحماديون في هذه الآونة هي تجارة نشطة و مربحة سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية، و برزت العديد من المدن كمراكز تجارية هامة تستقطب التجار، من أهمها:

أ-بونة: ترجع أهمية هذه المدينة إلى خصب أراضيها الصالحة للزراعة و تربية المواشي، و إلى وجود المعادن بها، إلى مينائها الهام ذو الحركة المستمرة، و هو ما أكده ابن حوقل في قوله:" و لها أسواق حسنة و تجارة مقصودة و أرباح متوسطة و فيها خصب و رخص موصوف...، و من تجارتها الغنم و الصوف و الماشية من الدواب و سائر الكراع"[1].

ب-طبنة: بها أسواق عامرة كثيرة الخيرات[2]، على الرغم من أن المدينة تعرضت للانحطاط و الضيق إلا أنها استعادت مكانتها في عهد بني حماد و كان بها العديد من القصور و الصهاريج على نهرها الذي يروي أراضيها، و عرفت المدينة بأسواقها التي ساعدت على رواج التجارة الداخلية بها[3].

ج- بجاية: تعتبر بجاية من المدن الحمادية الواقعة على الساحل و التي جمعت بين تجارتي البر و البحر، فازدهرت بها التجارة البرية بفضل أسواقها و الوفود إليها من كل صوب، و التجارة البحرية بفضل مينائها، يقول الإدريسي:" أهلها مياسير وبها من الصناعات و البضائع ماليس بكثير من البلاد[4]"، فربطت تجارة الصحراء بتجارة المتوسط، حيث تعود القوافل إلى بلاد المغرب بالذهب و العبيد و بضائع أخرى و تصل إلى المداخل الكبرى : غدامس، ورجلان، سجلماسة و أغمات،و يتم تسويق الذهب و العبيد المجلوبين من بلاد السودان إلى دول الحوض المتوسط، و

[1]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 75-76.

[2]-الإدريسي ، المصدر السابق، ج 3، ص 263.

[3]-البكري، المصدر السابق، ج ، ص 50.

[4]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 263.

بواسطة التجار المتلهفين لاقتناء هذه السلع، و هكذا أصبحت بجاية حلقة هامة في الدورة التجارية مع بلاد السودان الغربي [1].

أما عن مينائها فيقول صاحب الإستبصار:" هي مرسى عظيمة، تحط فيه سفن الروم من الشام و غيرها من أقصى بلاد الروم، و سفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، و بلاد اليمن و الهند و الصين و غيرها "[2]، و يقول الإدريسي:"... و السفن إليها معلقة و القوافل منحطة، و الأمتعة إليها برا و بحرا مجلوبة و البضائع بها نافقة، و أهلها مياسير تجار يجالسون تجار المغرب الأقصى و تجار الصحراء و المشرق و بها تحل الشدود و تباع البضائع بالأموال المقنطرة"[3].

د-تنس: هي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ماسواها، و لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج و الجوالي و الصدقات و الأعشار و مراصد على المتاجر الداخلة إليها و الخارجة و الصادرة و الواردة.

هـ- مرسى الخرز: مدينة غنية بالمرجان يقصدها التجار من سائر البلاد، فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات مما يباع بالأموال الطائلة [4].

و- ورجلان: تمثل هذه المدينة منطقة عبور التجار و القوافل القادمة من الشمال قاصدة بلاد السودان[5].

أ- الطرق البرية:

[1]-خديجة بورملة، المرجع السابق، ص 52.

[2]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ج 3، ص 130.

[3]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 161.

[4]-الحميري، المصدر السابق، ص 537.

[5]-الحسن الوازن، المصدر السابق، ج 1، ص 136.

نظرا للأمن و الإستقرار الذي وفره الأمير الحمادي الناصر بن علناس و تأهيله للجيش، أمّن الطرق البرية و جدد الحماية للحركة التجارية بين مدن المغرب الأوسط و مع الخارج، ماجعل التجار ينتقلون بأريحية و حرية تامة و هو ما ساعد في تفعيل حركة البيع و الشراء و تبادل السلع[1]، و يذكر الإدريسي المسافة التي يقطعها المسافر الذي يغادر العاصمة الحمادية ليقصد المدن و القرى الأخرى، فيقول:" من بجاية إلى إكجان[2]، يوم و بعض يوم، و من بجاية إلى سطيف يومان، و من بجاية إلى باغاية ثمانية أيام، و بين بجاية و قلعة بشر أيام، و هي عمالة بسكرة، و بين بجاية و تيفاش [3] ست مراحل، و بين بجاية و طبنة سبع مراحل"[4].

و الطرق التجارية التي تخرج من قسنطينة ستة، الأول يؤدي إلى باغاية و الثاني و الثالث يتجهان نحو بجاية أحدهما يمر بجيجل و الثاني بالإربس و الرابع يؤدي إلى القل[5] و يمر بقلعة بشر و تيفاش، و الخامس يؤدي إلى سطيف، و السادس يؤدي إلى جيجل[6]،

و هنالك ثلاثة تخرج من القلعة إثنان من القلعة إلى القيروان مرورا بطبنة و نقاوس و باغاية و ماجنة، و الثالث إلى تنس مرورا بالمسيلة و مليانة[7].

و تخرج القوافل التجارية من أشير في أربعة طرق اثنان نحو تنس، الأول يمر بمليانة و الثاني يمر بشلف و الثالث نحو مرسى الدجاج و الرابع نحو جزائر بني مزغنة[8].

---

[1]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 149.

[2]–إيكجان: جبل بين سطيف و قسنطينة على وادي بجاية به سوق دائمة متنوعة تقل به الأسعار (ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 262).

[3]–تيفاش: مدينة بإفريقية شامخة البناء تسمى تيفاش الظالمة ذات عيون و مزارع كثيرة و هي في سفح الجبل (ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 67).

[4]–الإدريسي، المصدر السابق، ج3، ص 162.

[5]–القل: قرية عامرة بها مرسى والجبال تحيط بها من جهة البر، (ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 269).

[6]–الإدريسي، المصدر نفسه، ج3، ص 96.

[7]–البكري، المصدر السابق، ج1، ص ص 50–61.

[8]–الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 96.

هذه هي أهم الطرق الرئيسية التي تربطبين المدن الحمادية بالإضافة إلى الطرق الفرعية أو المختصرة[1].

كما كانت للدولة الحمادية صلات تجارية مع الفاطميين في مصر، حيث فصل الفاطميون نزاعاتهم السياسية عن النشاطات الإقتصادية، فعرفت أربعة طرق بين المغرب و مصر و هي:

- الطريق الساحلي و هو أكثر أمنا و راحة للقوافل.
- الطريق الجنوبي يبدأ بالفسطاط و يتجه غربا إلى القيروان و السوس.
- طريق يمر بالواحات الداخلية و يتجه إلى السودان الغربي متجها إلى غانة ثم يعدل عنه إلى سجلماسة.
- طريق من مصر إلى سجلماسة

بالإضافة إلى العلاقات التجارية التي تربطها بالصحراء على عدة محاور منها الطريق القديم الذي يمر عبر ورقلة، تدمكة التي تؤدي إلى غاو أو غانة، و من ورقلة توجد طرق تؤدي إلى القيروان أو قلعة بني حماد إلى جانب الطريق الذي يمر على سجلماسة إذ كانت هذه الطريق تسمح بتموين دول المغرب بالذهب[2].

ب- الطرق البحرية:

اتسع النشاط التجاري البحري للدولة الحمادية بعد أن نقلت العاصمة إلى بجاية، فقد انفتحت بذلك على البحر الذي أدر عليها بالخيرات، فربطتها علاقات تجارية مع المشرق و دول البحر الأبيض المتوسط يقول صاحب الاستبصار واصفا ميناء بجاية:" و هي مرسى عظيم تحط فيه

[1]-رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 144.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 231-230.

سفن الروم من الشام و غيرها من أقصى بلاد الروم، و سفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، و بلاد اليمن و الهند و الصين و غيرها"[1].

أ-الخط التجاري الشرقي: كانت السفن تخرج من مرسى بجاية قاصدة الإسكندرية في مصر فتمر بجيجل، القل، بونة، مرسى الخرز، بنزرت، تونس، سوسة، المهدية، صفاقس، قابس، طرابلس[2].

ب- الخط التجاري الغربي: عرف الحماديون علاقات تجارية مع المرابطين و الأندلسيين و جمهوريات جنوب إيطاليا فتوافدت سفنهم على الموانئ الحمادية و ازدحمت بها، للتبادل التجاري و عرف خط يربط بين بجاية و مراكش يمر بميناء دلس، جزائر بني مزغنة، وهران ثم سبتة[3].

و ازدهرت التجارة الحمادية الأندلسية بوجود العديد من المراسي الحمادية و مايقابلها من الموانئ الأندلسية، ماسهل حركة الملاحة بين الشاطئين و تكاثرت العلاقات التجارية بين المراسي الحمادية الواقعة بين جزائر بني مزغنة و شرشال و المراسي الأندلسية الواقعة بين قرطاجنة و مصب نهر إيبر، بالإضافة إلى التقارب الجغرافي بينهما، فشهدت ضفاف البحر الأبيض المتوسط حركة تجارية نشيطة[4].

و أبرم الناصر بن علناس معاهدة مع بيزا و أعطى تجارها العديد من الإمتيازات [5]، حيث كانت هنالك علاقات تجارية تربط الحماديين مع مدن جنوب إيطاليا على غرار صقلية التي قامت بدور الوسيط باعتبارها محطة رئيسية تتوقف فيها السفن، و جنوة التي تحمست للتجارة مع بنو

[1]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ج 3، ص 130.

[2]-حسن خضري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، د ت، ص 99.

[3]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 252.

[4]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 151.

[5]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1999م، ج 1، ص 152.

حماد، فسهلت الطرق البحرية التجارة بين الطرفين، فكانت السفن تخرج من بجاية إلى صقلية و منها إلى أوروبا [1].

3-الأسواق: انتشرت الأسواق في المدن الحمادية لكثرت السلع و تنوعها، فكان لبجاية خمسة أسواق هي : الصوف و القيصرية و باب البحر و القراصنة و السويقة، إضافة إلى سوق بونة و الغدير و المسيلة و تاهرت و تنس و غيرها...[2]، و كانت الأسواق داخل و خارج المدن، حيث يوجد فنادق لإقامة التجار الأجانب، كمدينة تبسة يوجد بها أقباء يدخلها الأشخاص بدوابهم للاحتماء من برد الشتاء و يسع القبو الواحد إلى أكثر من ألف دابة[3].

و أسواق البوادي التي كانت تعقد يوما واحدا في الأسبوع كسوق الأحد و الخميس بين القلعة و بجاية و قد وصف الإدريسي سوق الأحد بأنه رخيص في الأسعار وبه العديد من اللحوم و الفواكه المختلفة، و سوق الخميس الواقع من حصن تاكلات و تادرفت إلى حصن بكر كثير البيع و الشراء[4].

و مدينة قسنطينة بها أسواق و تجار و أهلها مياسير ذو أموال و أحوال واسعة و معاملات مع العرب[5]، و طبنة كذلك بها أسواق عامرة كثيرة الخيرات[6]، و تاهرت بها ناس جمل من البربر لهم تجارات و بضائع و أسواق عامرة[7]، و جزائر بني مزغنة عامرة آهلة تجارتها مربحة، أسواقها قائمة ذات صناعات نافقة[8]، و نقاوس و سوق بسكرة، و لمازونة أسواق عامرة بالخيرات و سوقها

[1]- عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، ط 1، بيروت، 1403ه/1983م ص 291.

[2]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 262.

[3]-الإدريسي، المصدر نفسه، ج 1، ص 145.

[4]-الإدريسي، المصدر نفسه، ج 3، ص 263.

[5]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 167.

[6]-الإدريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 263.

[7]-البكري، المصدر الساق، ج 1، ص 50.

[8]-مجهول، المصدر السابق، ص 162.

يكون بيوم معلوم متفق عليه من قبل التجار تباع فيه جميع البضائع كالألبان و الأسماك و الفواكه و غيرها[1].

كل هذه المنتجات أخذت تتبادل بين مدن الدولة الحمادية، فيقول ابن خلدون :" أن بجاية تجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة و القطران و أن مدينة الجزائر بني مزغنة يتجهز بسمنها و عسلها إلى سائر البلاد بالإضافة إلى أنها كانت تصدر إلى خارج البلاد الحمادية[2].

1- المبادلات التجارية :

1-1 الصادرات:

أ- الحبوب: صدرت مدينة تنس سائر الحبوب التي كانت تخرج منها إلى كل الآفاق، لتحملها المراكب، و اشتهر قمح جزائر بني مزغنة باحتوائه كمية كبيرة من السميد فكان يفضله أهل جنوة للعجين و يصنعون منه الرغيف البحري الجاف و الأطرية.

ب- الخشب: رغم العداء بين الحماديين و الزيريين إلا أن العلاقات التجارية كانت قائمة بينهما، و كان خشب جبال الرحمن و بونة من السلع الرئيسية التي يصدرها الحماديون إلى المدن الزيرية [3].

ج- المعادن: كانت تقوم المدن الحمادية المتوفرة على المعادن بتصديرها بشكل مستمر نحو المشرق، كالحديد و الرصاص و النحاس المستخرج من جبل كتامة[4]، بالإضافة إلى المرجان الذي كان يحمل من مرسى الخرز إلى الفاطميين بمصر[5].

---

[1]-البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 148.

[2]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 289.

[3]-هادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 108.

[4]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

[5]-الحسن الوازن، المصدر السابق، ج 1، ص 62.

د-الثروة الحيوانية: صدّر الحماديون الخيول العربية و البربرية، و السمك المقدد و ريش النعام و الجلود المصبوغة و المدبوغة، حيث كان الجلد المغربي يتمتع بشهرة واسعة في أوروبا[1]، و من المدن المصدرة له تلمسان و بجاية و تشمل جلود معظم الحيوانات مثل البقر و الغنم و المعز و الخيل و الجمال، مما يدل على الثروة الحيوانية[2]

هـ-القطن: صدرت الدولة الحمادية القطن إلى أوروبا، الذي كانت زراعته منتشرة في عدة مناطق كالمسيلة و بسكرة المشهورة بجودته، فكان يصدر إلى البندقية و غيرها[3].

و-صادرات أخرى: صدرت بجاية مادة الشمع إلى أوروبا و الزيوت التي تمتعت بشهرة كبيرة، بالإضافة إلى الفخار و الزجاج الذي كانت صناعته مزدهرة في القلعة و بجاية[4].

2-1 الواردات:

أ-الخشب: بالرغم من وفرة مادة الخشب في الأراضي الحمادية نظرا للمساحات الشاسعة الغابية، إلا أنها احتاجت له أكثر في صناعة أدوات المطبخ و الآثاث و صناعة السفن،فاستوردته من البندقية المركز الرئيسي لتصديره[5].

ب- التوابل و العقاقير: استورد الحماديون من الهند العقاقير مثل جوز الطيب، القرنفل، الرواند و الزنجبيل، و كذا الروائح العطرية و البخور مثل اللبان و العود و الجاوي و المسك و العنبر[6].

---

[1]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 229.

[2]- عز الدين أحمد موسى ، المرجع السابق، ص 326-326.

[3]-الحسن الوازن، المصدر نفسه، ج 2، ص 169.

[4]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

[5]-الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 108.

[6]-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 297.

ج-الأسلحة: بالرغم من أن بجاية احتوت على دار الصناعة لصناعة السفن و الأسلحة، إلا أن الدولة الحمادية احتاجت إلى المزيد منها على إختلافها و تنوعها، فقد إستوردت من شمال إيطاليا الدروع و الحراب و الخوذات و السيوف[1].

2- العملة في الدولة الحمادية : لم يكن للحماديين نقود مستقلة تحمل طابع دولتهم السياسي و المذهبي إلى غاية عهد يحي ابن العزيز، فيقول ابن خلدون:" واستحدث السكة و لم يحدثها أحد في قومه أدبا مع خلفائهم العبيدين"[2]،

فاستعملوا العملة الفاطمية و كانت نوعين: عملة ذهبية تشمل الدينار أو المثقال و نصف الدينار و ربع الدينار و ثمن الدينار، و عملة فضية تحتوي على الدرهم و نصف الدرهم أو القيراط و ربع الدرهم و ثمن الدرهم و الخروبة أو (الخرنوبة) و هي الجزء السادس عشر من الدرهم[3].

ثالثا: البعد الثقافي للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس.

1- الحياة الدينية:

شهدت بلاد المغرب قيام عدة دول تختلف في المذهب على غرار الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي و الذي احتضنته قبيلة كتامة منذ مرحلة الدعوة السرية، كما اعتنقه كبير صنهاجة و زعيم تلكاتة زيري بن مناد واتبعه في ذلك أولاده و أحفاده إلى غاية المعز بن باديس الذي أعاد المذهب السني كمذهب رسمي للدولة [4]، أما عن الدولة الحمادية، فمنذ أن انفصل حماد عن ابن أخيه باديس 405هـ/1014م، قتل الرافضة و أظهر السنة و راجع دعوة آل العباس، و اتبعه في

[1]-هادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص109.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 322.

[3]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 145.

[4]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 128.

ذلك سائر أمراء بنو حماد[1]، رغم تأرجح الولاء للعباسيين تارة، و للفاطمين تارة أخرى، و ذلك وفق المصالح السياسية طبعا[2].

لكن هذا لم يمنع حماد من فتح أبواب مملكته أمام الطوائف الأخرى على إختلاف أديانهم، فازدحمت القلعة بالسكان و عرفت التسامح الديني، و توارث أبناءه هذه السياسة إتجاه السكان، فحتى عندما نقل الناصر بن علناس العاصمة إلى بجاية سمح باستقبال الوفود القادمة من كل صوب اتجاه مملكته، بغض النظر عن الدين الذي ينتمون إليه (تم ذكر هذه الفئات في التركيبة البشرية).

السنيون: يبدو أن أغلب زناتة كانت على المذهب السني، المتواجدين في بسكرة و طولقة و كان سكانها على المذهب السني المالكي، و تهودة التي كانت على المذهب الحنفي.

الإباضيون: تواجد الإباضيون بباغاية و تاهودة وورقلة التي لجأ إليها الرستميون بعد فتح تاهرت من طرف الفاطميين.

اليهود: تواجد اليهود بالقلعة قبل بجاية، حيث جاؤوا من القيروان عند خرابها، فكانوا تجارا و أطباء و صياغ و خبراء بالأمور المالية، فتنقلوا بعد ذلك إلى العاصمة الجديدة و عاشوا في كنف الحماديين[3].

المسحيون: تواجد المسيحيون بعاصمة الحماديين الجديدة كغيرهم من الفئات الأخرى، لكنهم عوملوا معاملة خاصة من طرف الحاكم الناصر بن علناس، الذي بني لهم كنيسة في بجاية وأطلق سراح المسحيين المعتقليين ليرسل له البابا جريجوري السابع لتوطيد العلاقات الحمادية المسيحية، وردا على ما يقوم به من أجل الرعايا المسيحيين، و هي رسالة ذات طابع متفتح

[1]–ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 350.

[2]–عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 360–361.

[3]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 163–166.

القلب، جاءت كرد على مبادرة الناصر بن علناس الذي طلب بنفسه من البابا أن يقوم بسيامة القس سرفاندوس أسقفا للمسيحيين في عاصمة بلاده، و هو أمر كان يمكن أن يتركه لأبناء الطائفة المسيحية في إمارته، كذلك تحرير الأسرى المسيحيين في دولته ووعد بأن يستمر في السير على هذا الدرب، و لنا الآن أن نتساءل عن الدوافع الكامنة وراء عقد هذه الصلة الحمادية المسيحية، فيذهب المؤرخ ماس لاتري إلى القول أن السر يكمن في الأصل البربري و المسيحي لأبناء حماد، على إعتبار الماضي المسيحي لبلاد المغرب، و كذا الحكام المولودين من أمهات مسيحيات يميلون أكثر بعاطفتهم إلى المسيحيين لكنه رأي مبني على أهداف استعمارية واضحة تخدم مصالح بلاده فرنسا، و يذكر كريستيان كورتوا أنه تم إنقطاع بين هيئة رجال الدين المسيحي في الدولة الحمادية و بين مقدمهم رئيس أساقفة بسبب انقطاع ولاء حكام تونس الخرسانية، الذي تدخل قرطاجة في نطاق حكمه، سيده أمير بجاية الناصر، لكن البابا نفسه بعث برسالة في يونيو 1076 إلى رئيس أساقفة قرطاجة المدعو قرياقص، صحبه سرفاندوس نفسه، عند عودته إلى بلاده بعد أن نصبه البابا في روما أسقفا على مسيحي بجاية، و أن البابا طلب من قرياقص القرطاجي أن يتعاون مع سرفاندوس في إختيار قس ثالث ليكون أسقفا معهما.

فالراجح و الأقرب إلى الإحتمال هو أن يكون الناصر قد مد بصره إلى أبعد من مصلحته الشخصية، و ذلك أنه في نحو الوقت الذي اتخذ فيه الناصر المبادرة، كان البابا قد تحرك نحو كل من اسبانيا المسيحية و صقلية النورماندية بما يضرب المصالح الإسلامية.

و على كل حال فهذه مجرد فرضيات و إجتهادات في محاولة الوصول إلى ما يمكن أن يكون دوافع معقولة لمبادرة الناصر، أما عن استجابة البابا جريجوري السابع، فهو أمر طبيعي لا غرابة فيه، لأن البابا يهمه أن يتم تعيين أكبر عدد من الرؤساء الدينيين المسيحيين في العالم الإسلامي، خاصة إن كان تعيينهم يتم من الحاكم نفسه [1].

[1]–سامي سلطان سعد، المرجع السابق، ص 44–48.

رسالة البابا جريجوري السابع للناصر بن علناس :

« من جريجوار .. خادم خدام الله ... إلى الناصر ملك موريتانيا ومقاطعة سطيف في إفريقية ... تحيات وبركات رسولية ....

« كتبتم إلينا تبالتكم تطلبون إلينا تعيين قس ، وفقاً للشرائع المسيحية وهو هذا القس الخادم (سرفاند) الذي بادرنا بتعيينه ، لأن طلبكم كان منصفاً . وفي نفس الوقت أرسلتم إلينا بعض الرسائل ، وأطلقتم سراح المسيحيين الذين كانوا أسرى لديكم ، مراعاة للطوباوي البارّ بيير ، أمير المبشرين ، وحبّا لنا . ووعدتم بإطلاق سراح كل من يوجد لديكم ثانية .

« ولا شك أن الله خالق كل شيء ، والذي لولاه لما استطعنا شيئاً على الإطلاق ، لا شك أنه قد ألهمكم هذا الحلم ، وهيأ قلبكم لهذا العمل النبيل . والله ــ القادر ــ الذي يريد لكل الرجال النجاة ، ولا يريد الهلاك لأحد ــ لا يتقبل منا شيئاً أكثر من تقبله لحبنا لمن يماثلوننا ــ بعد حبنا الواجب له ــ ومن مراعاتنا لذلك المبدأ القائل (افعل للآخرين ما تحب أن يفعلوه لك) . ونحن بصفة خاصة ملزمون بأن تمارس الشعوب الأخرى فضيلة المحبة هذه . ونحن وأنتم ــ بصورتين مختلفتين ــ نعبد نفس الإله الواحد ، وكل يوم نمجده ونحل فيه خالق القرون وسيد العالم . وقد أعجب نبلاء روما ــ الذين عرفوا منا نبأ الصنيع الذي ألهمكم الله إياه ــ بسمو قليكم ، وأشاعوا الثناء عليكم . وثمة اثنان من بينهم من أكثر أتباعنا إلفة ــ وهما البيريك (AL'BERIC) وسنسيوس (CENCIUS) اللذان نشآ معنا منذ يفاعتهما في قصر روما ــ يرغبان في توثيق أواصر الصداقة والمصالح الخاصة معكم ، وسيكونان سعيدين إذا استطاعا أن يكونا من ذوي الحظوة لديكم ، وفي وطنكم . إنهما يرسلان إليكم بعض رجالهما الذين سيشرحون لكم مدى تقدير سيديهما لسعة أفقكم ، ولسموكم ، ومدى سرورهما بتقديم أية خدمة لكم هنا . ونحن نوصي جلالتكم بهم ، ونطلب منكم لهم نفس الحب ونفس الوفاء الذي ستكنه دائماً لكم ، ولكل من ينتمي إليكم . ويعلم الله أن عزة الله القادر هي التي تلهمنا الصداقة التي قد نذرناها لكم ، ويعلم مدى رغبتنا في سلامكم ومجدكم ، في هذه الحياة ، وفي الحياة الأخرى . ونحن ندعوه من أعماق القلب أن يتلقاكم ــ بعد حياة مديدة ــ في أصفيائه ، في نعيم الأب

١٨٨

المقدس إبراهيم »[1] .

عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 188.

2-البروز العلمي و الثقافي.

برزت الدولة الحمادية في المجال العلمي و الثقافي بروزا لا يقل عن بروزها في المجالات الأخرى، فاهتم ملوك بنو حماد خاصة حماد و الناصر و المنصور بن الناصر بترقية مظاهر الحضارة، فالمؤسس حماد حين بنى عاصمته فتح أبوابه للمهتمين بالعلوم و الفنون و التجارة، ووفر بها المنشآت العامة و شجع هجرة أرباب الصنائع و أهل العلم و التجار إليها[1].

فلم تلبث القلعة أن استبحرت في التنوع و الإختلاف الذي نتج عنه التقدم و الإزدهار و اهتم بالعلم فقرب العلماء و شجعهم[2].

و انتهج الناصر بن علناس سياسته أيضا، فكانت فترة حكمه مرحلة نمو و إشعاع و إخصاب الفكر العربي الثقافي، فاهتمامه بتأمين الدولة سياسيا و تطويرها إقتصاديا لم يمنعه من إغفال الجانب العلمي فبلغت الدولة في عهده ذروة مجدها، و استطاع أن ينهض بالعلوم و المعرفة نهضة كبيرة، فصب جهوده في تشجيع و تدعيم العلماء و استقطاب المفكرين. فحظي العلماء و الطلاب برعايته، فكان يقدمهم عن سائر الطبقات و يجود عليهم بالعطاء جودا حتميا، و يعتبر الناصر أطول ملوك بنو حماد باعا في هذا المضمار، فقد كان يؤمه الأدباء و يقصده الشعراء فيغدق عليهم[3].

و يمكن القول بأن الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة التي اتخذها الحماديون و جعلوها مناط رعايتهم و اتجاههم الرسمي، فهي جزء من الإسلام، و اللغة العربية هي لسان الأدب و

[1]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 167.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 94.

[3]-لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج 3، ص99.

العلم و عنوان الثقافة[1]، و مازاد في تغلغلها أواسط البربر هي الهجرة الهلالية، فقد أثرت لغة التخاطب لقبائل بنو هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي[2].

و ظهرت خلال هذه الفترة ظاهرة التنافس الثقافي، و كان السباق قائم بين بلدان المشرق و المغرب و الأندلس و بين عواصمها المختلفة: بجاية، المهدية، مراكش، فاس، سبتة، بغداد، القاهرة، و برزت كل مدينة بلون من العلوم و اشتهرت به، فالمهدية عاصمة البحوث الكيمياوية، و صقلية عاصمة نقل العلوم العربية إلى اللاتينية و بجاية عاصمة الرياضيات، و منها أخذ الأوروبيون الأرقام العربية و الجبر و المقابلة و هندسة أوقليدس[3].

و ماساعد في انتشار الحركة العلمية و تطويرها الدور الكبير الذي قامت به المؤسسات التعلمية:

1-المساجد:

يمثل المسجد المؤسسة التعليمية الأولى في الدولة الإسلامية، حيث تزامن ظهوره بظهور الإسلام، إذ كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه و سلم بعدهجرته من مكة إلى المدينة هو بناؤه للمسجد النبوي الشريف، لتنتشر المساجد بعد ذلك في كل أرضاعتنق أهلها الإسلام، فاتخذ مكانا للعبادة و طلب العلم، و أدى المسجد دور الجامعة أو المعهد تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد و الإفتاء، و تعقد فيه حلقات البحث و تنظم فيه المناظرات العلمية[4]، يقول ابن خلدون:" أعلم أن الله سبحانه و تعالى فضل من الأرض بقاعا إختصها بتشريعه و جعلها مواطن للعبادة، يضاعف الثواب و تنمو فيها الأجور، و أخبرنا بذلك على ألسنة رسله و أنبيائه لطفا بعباده و

[1]-عبد الحليم عويس، نفسه، ص 247.

[2]-محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م.

[3]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 249.

[4]-محمد محمدي: المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد 13، سعيدة، الجزائر، 2013، ص 103.

تسهيلا لطرق السعادة لهم، و كانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض فيما علمنا و حسبما ثبت في الصحيحين و هي مكة و المدينة و بيت المقدس"[1].

و بجاية كغيرها من الحواضر الإسلامية عرفت إنتشارا لهذه المؤسسة الدينية و التعليمية، فقد شهدت نمو الحركة المعمارية بشكل كبير خلال عهد الناصر بن علناس و ابنه المنصور، فقد بنى الناصر فيها حوالي 72 مسجدا[2].

و عن دورها التعليمي و التثقيفي فقد كانت الدراسة في المسجد تبدأ بعد إنهاء الدراسة بالكتاب لأن جل العلماء كانوا يتحاشون تعليم الصبيان في المساجد و لأن الإمام مالك رضي الله عنه قال: لا أرى ذلك يجوز لهم لأنهم لا يتنظفون من النجاسة "، و قال أيضا:" و لا أرى أن ينام في المسجد و لا يأكل فيه إلا من الضرورة، و لا يجد بدا منه مثل الغريب و المسافر و المحتاج الذي لا يجد موضعا".

أما مادته الأولى فقد كانت تحفيظ القرآن و الحديث ثم تدريس النحو و الفقه و اللغة و الأدب إلى أن أصبحت كشبه المعاهد العليا تدرس فيها مختلف العلوم العقلية و النقلية بتعمق و تفصيل بمساعدة أساتذة مختصين [3].

أما بالنسبة إلى إدارة هذه المؤسسة التعليمية فكانت السلطة العليا في بجاية و المتمثلة في الأمير و الحاجب و القضاة هم المشرفون على تسييرها، حيث كانت الدولة هي التي تدفع رواتب المدرسين من العلماء و غيرهم بالمساجد الجامعة[4].

---

[1]–عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 323.

[2]–يحى بوعزيز، المرجع السابق ،ص 158.

[3]–محمد محمدي،المرجع السابق، ص 104.

[4]–دوبايرا تشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية 15 م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج 2، ص 378.

مساجد بجاية:

أ- النوع الأول: هي المساجد الجامعة التي يقوم بإنشاءها و الإنفاق عليها الحكام و السلاطين و الأمراء و الولاة كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمع، و يقوم بأمرها القاضي الذي يفوضه الأمير أو الحاكم ليشرف على تسيير شؤونها، و قد اهتم أمراء بجاية بترميمها و إصلاحها، حيث حرصوا على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية و التعليمية، فاهتموا بإنارتها و فرشها بأزهى و أفخر الأفرشة[1].

و عنايتهم هذه جعلتهم يشجعون العلماء و الفقهاء، فاستقبلوهم من مختلف الحواضر ليدرسوا بها، و من أبرز هذه المساجد:

المسجد الجامع بقصبة بجاية: شارك في نهضة بجاية، إلا أنه هناك إشكال تاريخي حول تأسيسه، و لكن يبدو أنه كان موجودا في القرن السادس هجري، و من الناحية المعمارية فإن مسجد القصبة يتربع على مساحة قدرها عشرون و ثلاث مائة متر مربع، و هو مستطيل الشكل له أربع واجهات[2].

النوع الثاني: أما النوع الثاني فهي المساجد التي ليست تابعة للدولة في أغلبها، حيث يقوم بإدارتها أهالي الأحياء التي تقع فيها، فهم الذين يتولون الإنفاق عليها و ترتيب الأئمة للصلاة فيها، و هذا النوع من المساجد كان كثير الإنتشار بأحياء بجاية[3]، فيقول الحسن الوازن:" بها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم"[4].

[1]-محمد محمدي، المرجع السابق، ص 105.

[2]-هادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 109.

[3]-أحمد حسن محمود، المرجع السابق، ص 127.

[4]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 50.

و من أبرز هذه المساجد مسجد سيدي إبراهيم أوثابت:

يقع هذا المسجد بقلب قرية ثالا حمزة التي تقع شمال بجاية حوالي 7 كلم، لكن يوجد صعوبة تحديد التاريخ الرسمي لبناء هذا المسجد فتم الإعتماد على الروايات الشعبية و المشافهة، مع المحاولة للتأريخ من خلال مواد البناء و تقنياته، و أخذ المسجد اسمه من الولي الصالح سيدي إبراهيم أوثابت، الذي قدم للتدريس في بجاية، و حين توفي دفن بها، و يرجع بناء المسجد حسب الروايات الشعبية من أعيان المنطقة إلى القرن السادس هجري، و يعد أقدم المساجد في المنطقة، بالرغم من أن المسجد لا يزال يحافظ على نمطه المعماري القديم رغم مرور القرون على تأسيسه إلا أنه توقف عن العمل سنة 1983، و عندما بني المسجد الجديد بجواره أخذ نفس الاسم[1].

2- الرباط: إن الرباط من أهم المراكز التعليمية و التربوية، فقد كانت بداية نشأتهدفاعية لحماية البلادالإسلامية من الغزو إذ هو حصن دفاعي تجمع فيه من نذروا أنفسهم للدفاع عن الإسلام، ثم إزدادت أهميته حين أصبح قبلة لتحصيل العلم و الثقافة، فقد خصصت حصص لقراءة القرآن الكريم و تفسيره، و دراسة الحديث و قراءة كتب الفقه و شعر المواعظ، كما ساهمت بنسخ الكتب و اعتبرت مأوى للصالحين و العلماء[2].

3-الكتاتيب: تعد الكتاتيب من أقدم المراكز التعليمية في التاريخ الإسلامي، ففيها يتم تعليم القرآن الكريم و الكتابة للصبيان[3]، و تميزت في القرون الأولى للإسلام بالبساطة في بنائها، و ازداد عددها بتوسع العمران و المدن الجديدة في المغرب الإسلامي[4].

---

[1]-ليهم زينب، المساجد الريفية بمنطقة بجاية دراسة آثارية لبعض النماذج، مجلة منبر التراث الأثري، العدد السادس، بجاية، ص ص 80-81.

[2]-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 128-130.

[3]-محمد بن مكرم علي الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، ط 1، بيروت، 2000م، ص 13-18.

[4]-عبد الحق الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية أو كتاب نظام الحكومة النبوية، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ص 293.

و كان يقوم بإنشاء هذه الكتاتيب أشخاص ميسوري الحال في أغلب الأحيان، و ذلك نظرا لبساطة بنائها، أو يتم إستئجار منازل أو غرف تتخذ لتعليم الأطفال، أو يقوم أحد الأفراد أو جماعة من الناس احتسابا لوجه الله تعالى، و طلب لأجر الآخرة[1]، و هو أشهر أنواع التعليم الإبتدائي يتم فيه التعليم الأولي للصبيان، و منه ينتقلون إلى الزوايا و المساجد.

و انتشر في البدو ما يسمى بالشريعة، و هي خيمة كبيرة للدراسة، تقوم أحيانا مقام الكتاب إلى جانب كونه مصلى كبير تقام فيه الأعياد، و من المحتمل أنها محل تعليم بدوي في مقابل المسيد الذي كان محل التعليم الحضري[2].

4-الزوايا: مفردها زاوية، مشتقة من الفعل **انزوى، ينزوي،** بمعنى اتخذ ركنا،كما أنها مأخوذة من الفعل **زوى** و **أزوى** بمعنى ابتعد و انعزل[3].

و يبدو أن الزاوية في بجاية منذ ظهورها كانت مرادفة للرباط، لكن سرعان ما أخذت في دورها التعليمي، فبعد انتهاء الطلبة من تعليمهم في الكتاتيب ينتقلون إلى مرحلة التعليم بالزوايا على أيدي فقهاء و مشايخ بجاية، حيث اعتبرت الزاوية مرحلة وسطى بين الكتاب و المساجد الجامعة، إلى جانب ذلك هنالك زوايا انتشرت في قرى المدينة ساهمتهي الأخرى في نشر التعليم، فكان لها الأثر في تقليص الفوارق التعليمية بين سكان الريف و سكان المدينة[4].

5- المعاهد: كان يوجد في بجاية لون من التعليم الجامعي، فقد أنشأ الناصر بن علناس معهد سيدي التواتي و هو ولي صالح مشهور في المنطقة، و الذي كان يحتوي على ثلاثة آلاف طالب و تدرس فيه كل المواد بما فيها العلوم الفلكية، و خلال مؤتمر علمي ألقت طالبة من هذه الجامعة

---

[1]-أبو العباس أحمد بن يحى الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، ج 8، إ ش: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 156.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 253-254.

[3]-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج 1، القاهرة، ص 408.

[4]-محمد محمدي، المرجع السابق، ص 111-112.

محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس، أمام مجموعة من علماء أجانب، فقد كان مرخصا للفتيات ليس التعليم فقط بل تقديم أطروحات باسم المعهد[1].

كما أمر الناصر أن توزع المنح على العباقرة و المبرزين في كل فن، فازدحم على المعهد العلماء و الأطباء و الشعراء و أهل الفنون الرياضية و الهندسية من الأندلس و الشام و الحجاز و العراق و العجم، فاستفادت الدولة من علمهم و ثقافتهم، و قد بلغ إقبال الناس على العلم يومئذ المبلغ الكبير، فقد كان يجتمع على المدرس الواحد مايزيد عن مائة طالب، و لا فرق في ذلك بين المسلم و غيره، فنرى المدرس يتلقى طلبته على إختلاف مللهم و أجناسهم بصدر رحب تأدية لأمانة العلم[2].

الرحلة العلمية:

مالا شك فيه أن العلاقات الثقافية بين الدول من العوامل التي تغذي الحياة الفكرية، و تبعث فيه النشاط و التنوع، و قد ساهم الإحتكاك العلمي للحماديين بالأندلسيين و المشارقة و الصقليين و غيرهم إلى تفاعل الثقافات و ظهور التنافس العلمي بين الحواضر الإسلامية، و ما در على الحماديين بالنجاح و البروز هو رعايتهم للأئمة و العلماء و المفكرين و تشجيعهم و إغداق الأموال عليهم، و التسامح الديني الذي ميز الحماديين خاصة فترة حماد بن بلكين و الناصر بن علناس.

فتنقل طلاب العلم و المشائخ بين الحواضر الإسلامية في شكل بعثات و رحلات علمية[3] و استقطبت بجاية العديد من العلماء بعد أن أصبح حاضرة ثقافية علمية، فرغم توتر العلاقات السياسية الزيرية الحمادية و الزيرية الفاطمية إلا أن العلاقات الثقافية بينهم كانت منتعشة.

---

[1]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 254.

[2]–محمد الطمار، المرجع السابق، ص ص 142–143.

[3]–عبد الغاني حروز، العلاقات الثقافية للدولة الحمادية مرحلة القلعة نموذجا، مجلة العلوم الإتماعية و الإنسانية، العدد 12، جوان 2017، ص 241.

ابن الكفاة القيرواني:

و هو الذي مدح الأمير الناصر بن علناس حين قال:

قالت سعاد و قد زَمتْ رَكَائِبُهَا. . . . . مهلا عليكَ فَأَنْتَ الرائِعُ الغَـــــادِي.

فَقُلْتُ تاللهِ لا أَنْفَكُ ذا سَفَـــرٍ. . . . . تجري بي الفلكُ أو يَحْدو بِيَ الحادي.

حتى أُقَبِلَ تُرابَ العِزِ منتصرا. . . . بالنـــاصرِ بن علنـــاسِ بن حمـــادِ[1].

ساعد هؤلاء العلماء و الفقهاء القادمون من الدولة الزيرية و الفاطمية و المرابطية و الاندلس و صقلية على النهوض بالحركة العلمية و الثقافية في بجاية و الجزائر بني مزغنة و تلمسان و القلعة و المسيلة و غير ذلك من المدن الحمادية، كما ارتحل الحماديون إلى حواضر هذه الدول لأخذ العلم أيضا و ليلتقوا بالمشائخ و يأخذون عنهم الإجازات [2].

3- العمارة و الفنون.

اعتنى الحماديون بالفن المعماري، فأبوا إلا أن تكون لهم من المباني ما كان لبني عمومتهم بإفريقية و للفاطميين بمصر، و المباني تدل على ما وصلت إليه الدولة من عز و سلطان، فأحضروا المهندسين من إفريقية و المشرق لتشييد المباني و القصور لهم، فأسسوا الأسوار و القناطر و المدارس و المساجد[3]، و تميز الأمير الحمادي الناصر بن علناس بحبه و شغفه للبناء و العمارة، و هذا ما أكده ابن خلدون في قوله :" إن الناصر بن علناس و إبنه المنصور أكثر الأمراء الحماديين إهتماما بالبناء و التشييد"[4]، و نظرا للهجرات المتوافدة على المغرب الأوسط

[1]-محمد الطمار، المرجع السابق، ص 142.

[2]-عبد الغاني حروز، المرجع السابق، ص 242.

[3]-محمد الطمار، المرجع السابق، ص 148.

[4]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 350.

زادت الحركة العمرانية، لتتوافق مع عدد السكان[1]، من بينهم المهاجرون الأندلسيون الذين توافدوا على بجاية، شيدوا بها منازل يغلب عليها الطابع الأندلسي وفنه، لكن أهم هجرة عرفتها الأندلس في اتجاه بجاية كانت في القرن السابع هجري[2].

العمارة المدنية:

اعتنى الناصر بن علناس بالعمارة خاصة في عاصمته بجاية أجمل حواضر صنهاجة، فقد أراد بنو حماد أن يباهوا غيرهم فبنوا القصور[3]التي صاحب الإستبصار في قوله:" قصورها قصور لم ير الراؤون أحسن منها و لا أنزل موضعا، بها طاقات مشرقة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب المخرمة المتينة و المجالس المقرصة و المبنية حيطانها بالرخام الأبيض، كما ابتنى رصيفا ممتدا في البحر و قناطر معلقة لجر المياه، و أحاط المدينة كلها بسور به أبراج المراقبة.

و تمتعت مدينة بجاية بنهر كبير يسمى الوادي الكبير هو منتزهها و عليه بساتينها و قصورها و على شاطئه تواجدت البساتين و المتنزهات، وضع عليه بواعير تسقى من النهر، و في انف الجبل الخارج من البحر و المتصل بالمدينة ابتنى الناصر مجموعة من القصور[4] و يبدو أن هذه المنطقة هي منطقة خاصة أرستقراطية شبيهةبتلك الأحياء الراقية المعروفة بالأندلس[5].

أ-قصر المنار: و يمكن تصنيفه أيضا ضمن المباني العسكرية لأن له برجا عرف ببرج المنار، و يعتبر من أبرز الإبداعات المعمارية الحمادية و يرجح أن الناصر بن علناس هو الذي بدأ في إنشائه ثم أكمله المنصور و هو من أشهر مابقي لهم في عاصمتهم الأولى القلعة[6]، و يشتمل

---

[1]-مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 260.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 177.

[3]-محمد الطمار، المرجع السابق، ص ص 154-156.

[4]-مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، ج 3، ص 130.

[5]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 104.

[6]عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 277.

القصر على عدة مباني متلاصقة ببعضها البعض، منها الجنوبية و منها الشمالية، وحيطانه مصنوعة إلى الداخل من صخور كثيفة(حجارة غير منحوتة متشابكة)، و أما من الخارج فحجارة منحوتة[1].

ب- قصر البحر: تم إكتشاف هذا القصر من خلال الحفريات التي أجراها دي بيلي سنة 1908 م، و هو قصر بني بتعاون من الناصر و ابنه المنصور، إمتاز بتخطيطه الذي أصبح فيما بعد مثالا يحتذيه المعماريون في صقلية و غيرها[2]، و من مميزاته أن مدخله الشرقي يشكل قاعة صليبية الشكل وصفين من القاعات المستطيلة متجهة من الجنوب إلى الشمال، ورواق مفروش بالأجر الأحمر يحيط بالحوض الكبير الذي تلعب فيه الزوارق حسبما ذكر صاحب الإستبصار[3].

ج- قصر اللؤلؤة: يعتبر قصر اللؤلؤة الذي شيده الناصر من أعجب قصور الدنيا في عصره[4] فيصف صاحب الإستبصار قصور بجاية على أنها قصور لم ير الراؤون أحسن منها،بناء ولا أنزه موضعا[5].

و يصف الحسن الوزان إحدى قصورها :" أنه يحتوي على الكثير من الفسيفساء و الجصالمجزع و الأخشاب المحفرة بالنقوش التي تعلوها رسومات لها لون أزرق سماوي"[6].

د-قصر بلارة: بنى الناصر بن علناس في القلعة قصرا نسبه إلى عروسه الأميرة الزيرية بلارة بنت تميم بن المعز، فلما أوى الناصر إلى الأميرة بلارة و رأى من عقلها و علو همتها و كرم شمائلها، ملكت شغاف قلبه و أحبها حبا شديدا، و ابتنى لها بقلعة بني حماد و بجاية قصورا

---

[1]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 251.

[2]-عبد الحليم، المرجع السابق، ص 276.

[3]-مجهول، الاستبصار، المصدر نفسه،ص 168.

[4]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص232.

[5]-مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

[6]-الحسن الوازن، المصدر السابق، ص 49.

شامخة و أحاط بها الحدائق الأنيقة فيها الروح و الريحان، و من كل فاكهة زوجان، و من تحتها الأنهار الدافقة، و الأزهار الشائقة، و جلب كل ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين إكراما و إحتفاءا بزوجته الأميرة بلارة.

و اختصت الأميرة لإقامها ايوانا بقلعة بني حماد اشتهر باسمها قصر بلارة و قد محا اليوم محاسنه الزمان و طمس رسمه الحدثان و في خرابه يقول الشاعر الصنهاجي ابن حماد:"

إن العروسَيْنِ لارَسْمُ و لا طَلَلُ. . . . . فانظر ترى ليس إلا السهْلُ و الجبلُ

و قصرُ بلارة أودى الزمانُ به. . . . . فأين ماشادُهُ منها السادةُ الأولُ[1].

2-العمارة الدينية:

تشمل العمارة الدينية المساجد و الزوايا و الأضرحة و غيرها مما له صلة بالحياة الدينية عند المسلمين، و كما تم الذكر سابقا فقد كثرتهذه المباني في المملكة الحمادية بناها الأمراء و العامة، منها الفاخرة و منها البسيطة، لكننا لا نجد في المصادر التاريخية وصفا دقيقا يصف لنا هذه المساجد و يذكرها مع سنة بناءها.

3-العمارة العسكرية:

أ- الأبراج: اهتم أمراء بنو حماد ببناء الأبراج القوية و العالية للمراقبة، أهمها برج المنار بالقلعة، الذي امتاز بعلوه حيث يمكن من خلاله مراقبة المدينة من جميع الجهات المختلفة، له قاعدة مربعة الشكل يبلغ ضلعها 20 م و له قاعتين يحيط بهما ممر الحراس[2]، و يقال أن الحماديين

[1]-حسن حسني عبد لوهاب، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[2]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 203.

قد عهدوا إلى مهندس مسيحي إسمه بونياش لإقامة هذا الصرح[1]، و من الثابت أن البرج كان مغطى بقبة لم تزل آثارها ظاهرة[2].

ب- الأسوار: شيد الحماديون أسوارا تحيط بمدنهم تحميهم من أي خطر خارجي، فسور بجاية عظيم و البحر يضرب فيه، يصل إلى قمة جبل أمسيون ثم ينزل متوقفا عند المنحدرات الوعرة التي تعتبر حاجزا طبيعيا[3]، و نجد أعلاه ممرا للحراس تكلله شرفات، حوالي كل 25 م و نجد بروجا ناتئة مستطيلة القواعد.

أما سور قلعة بني حماد فلا يزال موجودا إلى يومنا هذا، على شكل رجل كبش، طوله يبلغ 7 كلم و عرضه يتراوح بين 120 و 160م، بني من الحجر[4].

هنالك صعوبات تعيق دراسة طراز المباني الحمادية سواء دينية أو حربية أو مدنية، و سنة بناءها بالتحديد و غيرها من المعلومات، و ذلك أنها لم تلقى عناية المؤرخين مثل بقية المدن الإسلامية، ماعدا بعض الأوصاف الموجزة و المعلومات الشحيحة، كذلك مايعيب العمران الحمادي إندثاره و زواله رغم كثرته و مواصلة أبناء الناصر في التشييد من بعده يقول صاحب الإستبصار :" فقد ابتنى أبناءه القصور و غرسوا الجنات و أكثروا من المنتزهات، و جلبوا إليه المياه و أجروا بها سواقي و جداول و فرقوا المياه بالحارات و الدور و المساجد في القنوات، فضلا عن ما بها من صهاريج "[5].

فهل السبب راجع إلى الفتوحات التي طالت بجاية بعد سقوط الدولة الحمادية ؟

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، تح: جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 42.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 277.

[3]-مجهول،الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

[4]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 203.

[5] -مجهول، الاستبصار، المصدر نفسه، ص130.

أم أن الدولة الجزائرية لا تشجع الحفر و التنقيب، و آثار الحماديين لا تزال مدفونة تحت الأرض؟

أم أن الحكمة إلى هذه الأسطورة الشعبية التي نقلها لنا feraund، و لم تسجلها الكتب التاريخية مفادها:

أن الناصر بن علناس كان شغوفا بالبناء، موهوبا و منظما، كرس جهده لتصبح بجاية المدينة الأكثر إزدهارا في بلاد المغرب، و كان سورها الهائل و أرصفتها و بناياتها العمومية و مدارسها محل إعجاب الغرباء، و كان العديد من الطلبة يتسارعون من كل الجهات لتعلم الشريعة و الرياضيات و الفقه و الطب و الفلك، على يد أكثر العلماء شهرة في ذلك العصر، فصارت بجاية مكانا يحج إليه أتقياء المسلمين، حتى أنها لقبت بمكة الصغيرة.

و كان الناصر بن علناس يصعد كل مساء في سفينة، متبوعا بأكابر رجال بلاطه و بالعديد من الموسيقين، فيقصدوا وسط الخليج ليتأمل من هناك تقدم عمله الحضاري.

و قد يكون جمال المشهد الذي يتجلى حول بجاية ساهم كثيرا في إلهام و تهييج خيال هذا الحاكم، فإن الخليج الذي يرتفع على ضفة المدينة في شكل مدرج يعرض في الواقع شكل بحيرة واسعة محاطة بستار من الجبال بجانبياتها المتقلبة، في البداية قمة جبل امسيون التي تشرف على المدينة، و على يمينها قمم و تلال كثيرا ما تكون مغطاة بالثلوج، و صورة ظلية لمدينة جيجل.

تفاصيل هذا المشهد الفاتن الذي يتغير فيه مفعول مظهر الظل و الضوء مع مختلف الساعات، و عند إختفاء الشمس في الأفق تاركة ورائها سحب متطايرة من ذهب، فينعكس على غطاء البحر، و كانت بجاية مقرا لأولياء كثيرين معروفين بزهدهم و علمهم، مثل الزاهد سيدي التواتي مؤسس الرباط الذي بقي مدة طويلة محل إجلال كبير، فأخذه الناصر ذات يوم معه في جولة وسط الخليج.

و قال له: تأمل تطور مشروعي وروعة لمعان عاصمتنا اليوم، أليست بجاية أجمل مدن العالم أولا تستحق أن تسمى مكة الصغيرة؟

لم يتحمس سيدي التواتي قط أمام هذه الصورة الرائعة بل وجه عكس ذلك، عتابا شديدا للسلطان، ووبخ طموحه و هوايته العمياء للبذخ و هوس الإبداعات، و أجابه :" أنسيت عدم استقرار أمور الإنسان، إعلم إذن أن البنايات التي تتشبث برفعها بتكاليف كبيرة ستهدم و تتحول إلى غبار و أن الشهرة التي تنوي تأسيسها على طول مدتها ستنهار مثلها مع الوقت".

و لجأ الولي إلى القدرة الإلهية حتى يقنع سيده بحجة خارقة فبفضل الإلهام الرباني، و ما وهب من إنارة مفاجئة، خلع برنسه و بسطه أمام الناصر، و هكذا أخفى عليه منظر بجاية، و من خلاله رأى الأمير الحمادي مدينة لكنها لم تكن مدينته، كانت الأرض منثورة بالخرائب في كل الجهات، واختفت المساجد و القصور و المباني الخلابة.

فيقولFeraud :" لقد تحققت نبوءة الولي فأين هي القصور المغطاة بالرخام و الطلاء الخزفي ما مصير المساجد العديدة ذات المآذن الرفيعة، إختفى كل شيء،عبثا يتم البحث عن آثارها وسط أرض وعرة مغطاة بحطام تغزوها الأشواك و بعض الأسوار المتزعزعة شاهدة على هجومات فضيعة [1].

[1]–محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية، دار الفاروق، ط 1، الجزائر، 1436هـ/2015م، ص 43–47.

بعض من الأواني الحمادية:

رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص282.

خاتمة

تعتبر الدولة الحمادية من أبرز الدول التي تأسست في بلاد المغرب الإسلامي ، و التي كان لها كلمتها في تاريخ المنطقة، حين أضافت فيه صفحة رائعة من الأمجاد و الإنجازات في جميع الميادين، فالسمة الغالبة على الأمراء الحماديين هي الإجتهاد و العمل على تطوير ملكهم ، خاصة الأمير الخامس في عمر الدولة الحمادية الناصر بن علناس ، الذي لعبت شخصيته القوية و الشغوفة دورا محوريا في الإرتقاء بالدولة.

فاختص بمجموعة من الخصال السياسية و العسكرية أهلته لتولي منصب الحكم عن جدارة و استحقاق ، فتميز بالحزم و الرئاسة و الحنكة و الدهاء، وشهدت فترة حكمه تغيرات حاسمة في عدة مجالات، بدءا من تغيير مقر العاصمة من القلعة إلى بجاية، و هي أولى خطوات الإنتقال بالدولة من مرحلة التأسيس إلى مرحلة البناء و الإزدهار و الإبتعاد عن الصراعات و الحروب، و التفرغ للإبداع الحضاري و التفتح العلمي و الثقافي، و أصبحت الدولة في عهده في أوج تقدمها السياسي و الحضاري بعدما استطاع أن يعيد الأمن الذي فقده بعد موقعة سبيبة 457هـ ، حين انهزم أمام ابن عمه تميم أمير الدولة الزيرية بمساعدة من القبائل الهلالية و زناتة، فكاد ملك بنو حماد أن ينتهي لولا براعته في إختيار القرارات الصائبة في الأوقات الحاسمة كان أهمها بناء عاصمته الجديدة بجاية، تاركا وراءه هذه الهزيمة النكراء و الخطأ الفادح الذي جر نفسه إليه ، و الذي نتج عنه دخول قبائل بنو هلال المغرب الأوسط ، لكن سرعان ماتدارك خطورة الوضع و انتقل بملكه إلى عاصمته الجديدة، و التي أصبحت بعد جهد جهيد تضاهي أكبر عواصم الفكر و الثقافة مشرقا و مغربا ، وقبلة يقبل عليها اللاجئون و التجار و طلبة العلم و أصحاب الحرف على اختلاف أعراقهم و دياناتهم، و هذا راجع إلى السياسة الواضحة المعتمدة من طرف الحماديين و التي تقوم على التسامح بين كل الملل.

و كان اهتمام الناصر يصب كذلك في الاعتناء بالعلم و العلماء و إعطائهم مكانة سامية أواسط باقي أصناف المجتمع الحمادي ، فحرص على تشجيع هجرتهم إلى بلاده و الإعتناء بشؤون حياتهم و توفير سبل الراحة و الأمن ، لتزدهر الحركة العلمية بفضلهم و بفضل توفر مراكز التعليم من مساجد و رباطات و زوايا.

و ليس هذا فقط بل توفرت الأراضي الحمادية على حركة عمرانية واسعة شجعها الناصر، فكان البناء و التشييد من أولوياته أيضا، فبنى القصور و القلاع و الأسوار.

و ازدهر في عهده النشاط الإقتصادي كثيرا، فتنوعت المحاصيل الزراعية من خضر و حبوب و فاكهة كما تنوعت الثروة الحيوانية و التي كانت منتشرة في الأرياف بكثرة ، و هذا راجع إلى وفرة المياه و الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، كما اعتنى بالصناعة كثيرا حين بنى دارا لها ببجاية، فشجع على صناعة السفن و المراكب الحربية، و ذلك لوفرة الخشب و المعادن كالرصاص و الحديد، بالإضافة إلى الصناعات الأخرى التي اشتغل فيها الحماديون كالدباغة و صنع الأواني الفخارية و غيرها.

و نظرا لازدهار هاذين النشاطين تولد عنهما النشاط التجاري الذي تجاوز المتاجرة مع دول الجوار ليصل إلى المشرق و دول حوض البحر الأبيض المتوسط، فانتعشت التجارة الداخلية و الخارجية و تنوعت الصادرات و الواردات ، و ازدحمت الأسواق الحمادية ووفد إليها الناس من كل الأمصار.

و أخيرا فإن وفقنا فذلك بفضل الله و كرمه ، و إن أخطأنا فعزائنا أننا اجتهدنا و لكل مجتهد نصيب ، على أننا لا ندعي الإصابة و العصمة من الخطأ فيما قمنا به ، فالكمال لله وحده و العصمة لمن عصمه الله، و لذا رجاؤنا لمن وجد خللا أن يبصرنا به ، أو هفوة فليرشدنا إليها و سنكون له من الشاكرين، و نرجوا أن يكون هذا العمل فاتحة لمن يرغب في التعمق أكثر و التوسع أو التعرض له من زوايا أخرى.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش.

1. ابن الأثير الجزري 558-637هـ/1163-1239م، الكامل في التاريخ ، مج 8 و 9، تص: محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 1، 1407هـ/1987م.
2. الشريف الإدريسي ت560هـ/1165م، صفة المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق.
3. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مج 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة، د ط، دت.
4. البكري أبو عبد الله ت487هـ/1094م، المغرب في ذكر بلاد إفرقية و المغرب من كتاب المسالك و الممالك.
5. علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تح: جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984.
6. الحموي أبو عبد الله ياقوتت626هـ/1229م، معجم البلدان، مج 1، دار صادر ، بيروت، 1397هـ/1977م.
7. الحميري عبد المنعم ت727هـ/1327م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1 ، 1975.
8. ابن الخطيب لسان الدين 713-776هـ/1313-1374م، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تح و تع: أحمد مختار العبادي و إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب للنشر و التوزيع ، دار البيضاء ، 1964.
9. ابن خلدون عبد الرحمن ت 808هـ/1406م، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6، دار الكتب العلمية، لبنان ، 2006.
10. الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان 673-748هـ/1274-1348م، سير أعلام النبلاء، ر ت و إ ع : حسان عبد المنان ، بيت الأفكار، لبنان، 2004.

11. الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد ت 548هـ/1153م، الملل و النحل، تر: محمد السيد كيلاني، ج 1، دار المعرفة ، لبنان ، ط 2، 1995م.

12. الصيرفي علي بن منجب، الإشارة لمن نال الوزارة، تح: عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي،د ط ، 1923م.

13. ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تر و مرا: ج.س كولان وليفي بروفنسال ، ج 1، دار الثقافة، بيروت، 1983.

14. القلقشندي أبي العباس ت 821هـ-1476م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 5، المطبعة.

15. الكتاني عبد الحق الفاسي، التراتيب الإدارية أو كتاب نظام الحكومة النبوية، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت.

16. المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ت845هـ/1442م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،تح: جمال الدين الشيال، القاهرة ، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، ط2، 1996م.

17. ابن منظور محمد بن مكرم علي الأنصاري ت711هـ/1311م، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، ط 1، 2000.

18. مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار النشر المغربية، دار البيضاء ، ط 2، 1986م.

19. مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1399،1هـ/1979م.

20. النويري شهاب الدين ت732هـ/1332م، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج 24 ، تح: عبد المجيد ترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

21. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ت 957هـ/1550م، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 1 و ج 4، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ، ط 2، 1983.

22. الونشريسي ت914هـ/1508م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب ، ج 8، إ ش : محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م.

المراجع:

1. إدريس هادي روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م، تر: حمادي الساحلي ، ج 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م.
2. بوبة مجاني و آخرونّ، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2007.
3. بورويبة رشيد، الدولة الحماديةتاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.
4. بوعزيز يحي موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الشروق ، بيروت ، ط 1، 1403هـ/ 1983م.
5. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003.
6. حساني مختار ، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج 3، دار الحكمة ، الجزائر ، د ط ، 2007.
7. حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، المطبعة التونسية، د ط ، 1353هـ.
8. خضري أحمد حسن ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب(326-567هـ/973-1171م)، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهة ، د ت .
9. دوبايرا برانشفي ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية 15م،ج2، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988م.
10. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1405هـ-1975م.
11. الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1983م.
12. عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د ط ، 2008.

13. بن عميرة محمد و بن عميرة لطيفة بشاري، تاريخ بجاية ، دار الفاروق ، ط 1، الجزائر 1436هـ/2015م.
14. عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة،القاهرة،ط2، 1991م.
15. مارسي جورج، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر و مرا: محمود عبد الصمد هيكل و مصطفى أبو الضيف، منشأة الاسكندرية ، د ت.
16. محمود حسن احمد، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م.
17. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر ، المطبعة العربية، الجزائر ، 1931م.
18. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر العام في القديم و الحديث، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، د ت.

الدوريات و المجلات:

1. بورملة خديجة ،" بجاية المدينة و الميناء و دورهما في التجارة المتوسطية خلال العصر الوسيط، عصور الجديدة"، المجلد الثامن، العدد الأول، ماي 1439هـ/2017-2018م).
2. حروز عبد الغاني، "العلاقات الثقافية للدولة الحمادية " مرحلة القلعة نموذجا" (461-508هـ/1017-1070م) "/ مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، العدد الثاني عشر ، جوان 2017.
3. سعد سلطان سامي، "دراسة عن رسالة البابا دجرجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام 469هـ/ 1076م "، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الأول 1986/1406م.
4. صلاحي حسام، "الجيش الحمادي و دوره في درء الأخطار الخارجية خلال عهد الناصر بن علناس (481-454هـ/1062-1089م) "، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، جانفي 2001.
5. طوهارة فؤاد ، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي و المجال الجغرافي"، مجلة حوليات التراث ، العدد الخامس عشر ، 2015.

6. ليهم زينب ، "المساجد الريفية بمنطقة بجاية "، دراسة آثارية لبعض النماذج ، مجلة منبر التراث الأثري، العدد السادس ، د ت.
7. مسعودي نور الدين ، "القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية لدولة المرابطين(448-541هـ/1147/1056م) "، مجلة القرطاس ، العدد التاسع ، جويلية 2018.
8. مكراز فوزية ، "السيطرة الإقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي" ، دورية إلكترونية، العدد الثاني عشر ، جويلية، 2011.
9. محمدي محمد ، "المساجد و الزوايا في جاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي "، مجلة حوليات التراث ، العدد الثالث عشر ، 2013.
10. محمود محسن داوود ،" تغربة بني هلال الأسباب و الآثار "، د ت.

فهرس

قائمة المحتويات

الإهداء

الشكر

قائمة المحتويات

مقدمة ..... أ

مدخل:نبذة تاريخية عن الدولة الحمادية. **8**

الفصل الأول :التاريخ السياسي للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس **18**

أولا : السياسة الداخلية للناصر بن علناس. **19**

ثانيا: الصراعات الخارجية للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس. **22**

ثالثا: موقف الناصر بن علناس من الصراعات القائمة في المغرب **24**

رابعا: موقعة سبيبة و نتائجها. **28**

الفصل الثاني :الإنتعاش الحضاري للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس **39**

(461-481هـ). **39**

أولا: عوامل إزدهار مدينة بجاية. **40**

ثانيا: التطور الإقتصادي للدولة االحمادية في عهد الناصر بن علناس. **49**

ثالثا: البعد الثقافي للدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس. **67**

خاتمة **86**

قائمة المصادر والمراجع **89**

الملخص:

يعتبر الناصر بن علناس حاكما مهما في تاريخ الدولة الحمادية ، و ذلك نظرا لما تميز به عهده من تحولات جذرية مست البلاد ، حيث أنه استطاع بحنكته السياسية أن يخرج الدولة من الصراعات و الحروب إلى التطور و التقدم و غير من سياسته و اتخذ بجاية عاصمة جديدة له.

الكلمات المفتاحية: الدولة الحمادية، الناصر بن علناس، بجاية.

abstract

Al-Nasir bin Alnas is considered an important ruler in the history of the Hammadid state, due to the radical changes in his reign that affected the country And he took Bejaia as his new capital.

Keywords: Hammadieh state, Nasser bin Alnas, Bejaia.